[السلام عليكم/ طالعت الدراسة، وهي جيدة في مجملها والحمد لله، لم أعلق على كل شيء طبعا، مراعاة للملاحظات المبدئية التي ذكرها الكاتب، وفقه الله ، وما تركته هو اشياء بسيطة يمكن تركها والتغاضي عنها..
عندي ملاحظة بسيطة عامة، وقد علقتُ عليها في موضعها، وأريد إفرادها هنا، وهي :
أنني أوصي الأخ الكاتب بالاحتياط دائما في وصف الكتاب بأوصاف مثل "منظر" "من كباب المنظرين" أو ما شابه ذلك، فكل الإخوة الذين كتبوا ونشروا علمهم وتجاربهم هم مساهمون في التنظيم وفي نشر العلم والوعي وتوضيح المفاهيم الصحيحة التي نؤمن بها، ولكن لا ينبغي التسرع بالثناء على شخص إلا بأن يكون قد ثبت عندنا تزكيته بشكل أكيد، والحيُّ لا تؤمن عليه الفتنة، فعلينا أن نراعي ذلك، وعلى كل كاتب أن يراعي أنه مسؤول ومؤتمن وأن يلاحظ أنه يشارك في التربية والنهوض بالأمة وشبابها وجيلها، ويحتسب ذلك عند الله، فهذا هو الباقي وغيرُ كله ذاهبٌ هناءً!! وأنت أخي الدكتور الآن صرتَ تكتب في ما تسميه السلفية الجهادية، وغدا سيأتي بعض الناس في المنتديات وغيرها ويقولون : فلان من منظري التيار السلفي الجهادي، ومن كبار المنظرين حتى..!! وهذا طبعا سيكون خطأ ، لكن لا تستغرب، فالجهلة والمتسرعون والذين علموا شيئا وغابت عنهم أشياءُ ما أكثرهم..!! أحق الناس بلقب منظرين هم شيوخنا الكبار وعلماؤنا وقياداتنا، ومع ذلك فالأحسن اعتبار الجميع مساهمين في هذا الجهد، والبُعد عن أي تزكيات، وكثيرٌ من الناس قام بجهد مشكور في التجميع للأفكار والتجارب وتأليفها وإخراجها للناس في قالب كتاب أو نحوه، فهذا جهد مشكور، لكن ليس معناه أنه منظّر كبير ولا أنه مصدر للتلقي، ويكون غيرُ ممن لم يكتب مثله أعلم منه أرسخ وأقوى وأكثر أثراً في الحركة الجهادية، لكن لم يكتبوا لأسباب معينة، فهذه أمور نسبية وحظوظ ، فالأحسن عندي دائما اعتبار الجميع مشاركين في هذه المكتبة وهذا التنوير وهذا المشروع الكبير، ولا نزكي إلا على تثبّت جدا. والله أعلم]

سلسلة دراسات عن السلفية الجهادية (3)

بحث بعنوان:

مسائل جوهرية في فكر السلفية الجهادية

(من التوحيد إلى صناعة القيادة)

د. أكرم حجازي / كاتب وأستاذ جامعي
drakramhijazi@yahoo.com

الأردن / إربد
أيلول / سبتمبر 2007

محتويات الدراسة

مسائل جوهرية في فكر السلفية الجهادية
(من التوحيد إلى صناعة القيادة)

د. أكرم حجازي / كاتب وأستاذ جامعي
drakramhijazi@yahoo.com

مقدمة

في يوم جمعة من أواخر الثمانينات من القرن الماضي، كنت واقفا أمام مقر عملي وقريبا من المسجد في إحدى البلدان العربية رفقة أحد الزملاء، وأمام ناظرينا وعلى مقربة من موعد الصلاة، توقفت شاحنة صغيرة وهي تقل مجموعة من الشباب الملتحين وهم يرتدون جلابيب بيضاء، ثم بدؤوا ينزلون من الشاحنة بصعوبة ليقع بعضهم أرضا أو ينفلت الآخر فيمسك به زميله وثالث يتلمس الأرض بقدمه كما لو أنه يخشى السقوط! وأنا أراقب الموقف وكزني زميلي في خاصرتي ساخرا: أهؤلاء سيحررون فلسطين؟ وللحق فقد ضحكت من المشهد وقهقهت وقلت له: أتراني أخالفك الرأي؟

في تلك الأيام، وقبل عشرين عاما على وقوع المشهد، لم تكن السلفية الجهادية، التي كانت تخطو آنذاك خطواتها الأولى، لتثير كثيرا فضول الباحث أو المراقب، ولم يكن أحد ليصدق أو يتخيل أنه سيأتي يوم يمكن أن يهتز فيه العالم بأسره من فعل هؤلاء الذين كانوا في حين ما موضعا للسخرية والآن هم في دائرة صناعة الحدث العالمي، وفي دائرة القلق العالمي، بل وفي دائرة الحرب العالمية على ما يسمى مكافحة الإرهاب.

كيف ينتظمون؟ لا أحد يعرف، من هم؟ لا أحد يستطيع تتبعهم بسهولة، كيف يتجندون ويتكاثرون؟ هي مشكلة المشاكل، من يدعمهم ويمولهم بعد تجفيف منابعهم؟ الكل يخمن ويتنبأ، ما هي أطروحاتهم واستراتيجياتهم؟ قلَّ من يعلمها أو يعبر عنها خلا الأعضاء والأنصار وبعض المراقبين ممن يعدون على الأصابع، ونسبيا **الباحثون** الذين غفلوا عن الظاهرة فباغتتهم على حين غرة وطعنت في كفاءتهم. وعليه فإننا نقر مسبقا أننا لسنا بصدد ظاهرة تقليدية مألوفة، ولعل في هذا بعض العزاء، فلا الغربيون المعاصرون ولا العرب ولا المسلمون في شتى أنحاء العالم ولا غيرهم أيضا عاشوا مثيلا لها. فما الذي يمكن أن يفهمه عالَم اليوم، وليس الأمس، بمسلميه ونصاراه وبوذيه وهندوسييه وملحديه من أطروحات السلفية الجهادية عن قضية التوحيد أو الراية أو الحاكمية أو سايكس- بيكو بينما هو غارق حتى أخمص قدميه بالحداثة والعولمة ولغة السوق؟

بالتأكيد فهذه الأطروحات ليست موضع ترحيب ولا تتمتع بالكثير من المصداقية عند أقران السلفية الجهادية، فهي مستحيلة التحقق عند البعض ومتطرفة عند البعض الآخر وخارجية عند ثالث وباعثة على الفتن عند رابع وسبب رئيس في تشويه الإسلام عند خامس ومشبوهة عند سادس وهكذا. ولكن هذه التوصيفات لا تختلف كثيرا بالنسبة للسلفية عما واجهه محمد بن عبد الوهاب ومن بعده أئمة الدعوة النجدية حين جهروا في دعوتهم إلى التوحيد، بل أنها لا تختلف عما واجهه الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه في أعقاب حادثة الإسراء والمعراج، فمن صدق حينذاك، غير قلة في مقدمتها الصحابي الجليل أبو بكر، بأن ما وقع كان حقيقة؟ فهل سيصدق أحد أن ما تفعله السلفية اليوم منطقي؟ أو مشروع؟ أو ممكن التحقق؟

لا شك أن ضربة 11 سبتمبر وحرب العراق وما أعقبهما من ظهور الجماعات الجهادية وفي مقدمتها تيار السلفية الجهادية مثل فرصة ثمينة جدا لفهم الظاهرة، ولا شك أن الإعلام الجهادي الإلكتروني عبر عشرات الشبكات الجهادية قد وضع النقاط على الكثير من الحروف ونجح إلى حد كبير في استفزاز الباحثين والدارسين للاطلاع على حقيقة الخطاب السلفي الجهادي ليس من خلال الرموز فقط بل، وهو الأهم، من خلال رؤية الرواد والكتاب والعلماء وطلبة العلم والمنظرين وما يطرحونه من مواقف ورؤى. والحقيقة أن هذه الأطروحات، الواقعة في إطار حرب الأفكار الدائرة في ساحات المنتديات بين مختلف التيارات الإسلامية الجهادية وغير الجهادية، كشفت عن بعض مكنونات الظاهرة وكيفية التصدي لها بالبحث. لكن، يبقى الإشكال الرئيس في قدرة الباحث على الاستمرار في متابعة الظاهرة التي نؤكد، للمرة الثانية، بأنها مرهقة جدا ومهمة عسيرة للغاية خاصة ما تصدره الشبكات أو ما يدور في المنتديات من حوارات ساخنة وتعبير عن المواقف التي تمثل، ولا ريب، رصيدا معرفيا خاما وهائلا باشتماله على أدق التفاصيل ومختلف التوجهات، ولعل معاينة كبريات القضايا التي تطرحها السلفية الجهادية لا ينبغي، منهجيا، أن يخرج عن هذه الساحات.

في مناسبات سابقة، كنا قد بحثنا في جذور نشأة السلفية الجهادية، وسلطنا الضوء على بعض أفكارها[1]، ولكن عذرية الظاهرة تتسبب دوما، ودون رحمة، بإلقاء المزيد من التساؤلات الغزيرة عن ماهية هذه الأطروحات بحسب فهم السلفية

[1] في دراستين سابقتين للباحث ثمة محاولة استكشافية في المحاور الأولى لبعض الأفكار الهامة لدى التيار الجهادي العالمي، وينصح بالعودة إلى: (1)ـ **رحلة في صميم عقل السلفية الجهادية** – صحيفة القدس العربي، أربع حلقات ابتداء من 28 – 31 /9/2006 و (2) **الصين تحت مجهر السلفية الجهادية** – صحيفة الوقت البحرينية، العدد 322 - 326، خمس حلقات ابتداء من 7/1/2007.

الجهادية لها؟ ومن يصنع القيادة فيها؟ وبأية شروط؟ ووفق أية آليات؟ ولماذا تحتاج الأمة إلى قيادة؟ وراية؟ وما علاقة سايكس بيكو بنوعية القيادة؟ ولماذا ترفض السلفية تسليم القيادة لأية جماعة أخرى؟

الأكيد أن التساؤلات كثيرة وكبيرة، أما الإجابات فقليلة إن لم تكن نادرة أو خاوية إنْ وجدت، والأسوأ أن السلفية الجهادية ذاتها ما زالت تقدم خطابا بلغتها لا بلغة العصر ولا بلغة العامة، وخطابا، إذا ما قسناه بلغة العلم، فهو أقرب إلى خطاب النخبة منه إلى خطاب العامة من الناس بمن فيهم المثقفين، فإذا نادت السلفية، مثلا، بمقاومة "**الطاغوت**" أسقطته الغالبية حصرا على الحاكم وحده وعدّته خروجا على الإمام، وإذا نادت بمحاربة "**سايكس – بيكو**" رأت فيه العامة والخاصة فتنة ورجعية وخروجا عن التحديث وسنن التغيير، وإذا ربحت معركة وصفوها بالإرهاب وإذا خسرتها حملوها المسؤولية، ومع كل هذه التناقضات تستمر السلفية الجهادية كظاهرة في تحديها دون أن تلتفت كثيرا لما ينتظرها، هكذا هي في أفغانستان والعراق ولبنان والشيشان وباكستان وبصورة تبعث على الدهشة فعلا، فما من جماعة جهادية أو حركة تحرر سابقة عليها اشتغلت بنفس الطرق والأدوات ماضيا وحاضرا، وكنا نسمع ونراقب على الدوام محاولات سياسية من جماعات جهادية ووطنية تبدي استعدادها للمفاوضات ولو بشروط بينما لم نقع على أية مبادرات من هذا النوع من قبل السلفية الجهادية اللهم تلك التي لا تخلو من إهانة للقوى الغازية وبشروط عسكرية صرفة أو شرعية[2].

المحور الأول: لغة السلفية الجهادية في مسائل معينة

بداية لا بد من الحسم بأنه لا يهمنا مطلقا أن نقبل أو نرفض لغة القوم بقدر ما يهمنا معرفة المعنى و ما ترمي إليه حقيقة، إذ أن الظروف لا تتيح لنا أكثر من التوصيف والتحدث بلة الظاهرة علنا نفهم بعض ما تشي به من مضامين ما زالت خبيئة أو أنها عصية على الفهم بلغة العلم الشرعي خاصة وأن الغالبية الساحقة من الأمة بعيدة عن العلم بعقيدتها أو فهم مراميها، فلنتحدث إذن بلغة ميسرة قريبة من الأفهام العامة، مع التأكيد على أننا لا نرى غضاضة في استخدام أدوات تحليل من شأنها أن تساعد على فهم الظاهرة دون أن يعني ذلك بأي حال من الأحوال المس بجوهر المسائل المطروحة أو إحداث أي خدش يقلل من قيمة التحليل والنتائج.

أولا: ثقافة التوحيد

يردد الشيخ أسامة بن لادن حكمة تقول: "**من أصعب المهمات توضيح الواضحات**". ولعل أصعب قضية في عقل السلفية الجهادية وأثقلها على المسلم هي قضية التوحيد، إذ ما من قضية يعادل وزرها وزر التوحيد. هذه القضية تعني في اللغة الإفراد والتفرد الذي لا نظير له ولا شريك، وفي الاصطلاح الديني هو الشهادتان وتحقيق مقصودهما، وأول الأركان الخمسة، ويقسم إلى ثلاثة أقسام:

- توحيد الربوبية، وهو إفراد الله تعالى بأفعاله كالخلق والملك والتدبير والإحياء والإماتة، ونحو ذلك.

---

[2] كالهدنة التي عرضها بن لادن على العالم الغربي والتي وردت في شريط فيديو بتاريخ 17 أو 18 /2/2006، أو دعوة أبو عمر البغدادي (أمير دولة العراق الإسلامية) للقوات الأمريكية وحلفائها إلى الانسحاب أفرادا دون معداتهم وأسلحتهم الثقيلة من البلاد في خطابه "**وقل جاء الحق وزهق الباطل**"، تسجيل صوتي 22 / 12 / 2006.

- توحيد الألوهية، وهو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولا وعملا، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله كائنا من كان، ويمكن أن يعرَّف بأنه: توحيد الله بأفعال العباد، وهذا النوع هو الذي وقع فيه الخلل، ومن أجله بعثت الرسل، وأنزلت الكتب، وخلق الخلق، وشرعت الشرائع، وفيه وقعت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم.
- توحيد الأسماء والصفات، وهو إفراد الله عز وجل بما له من الأسماء والصفات عبر **(1) إثبات** ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو ما أثبته له الرسول صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى والصفات من غير تحريف لها أو تأويل لمعناها أو تعطيل لحقائقها أو تكييف لها و **(2) تنزيه** الله عن كل عيب، ونفي ما نفاه عن نفسه من صفات النقص.

ولكن في الواقع ماذا نفهم من التوحيد غير ما ورد من القول؟ لو سألت مسلما سؤالا بسيطا: ما هو دينك؟ لأجاب على الفور: إنه الإسلام، ولو أردت استفزازه فاسأله: هل تقبل أن تكون نصرانيا أو يهوديا؟ لعلي أذكر حادثة وقعت في إحدى حافلات النقل العام في الجزائر حين صعد أحد المخمورين إليها وهو يتأرجح يمنة ويسرة على الركاب حتى هوى على السائق سقوطا فاغتاظ ونهره موبخا إياه على سكره قائلا: " **راك يهودي؟**"، بمعنى هل أنت يهودي؟ فما كان من الرجل إلا أن جن جنونه وخرج عن كل طور وهو يشتم ويصيح ويعربد محتجا على الوصف ومرددا عبارة "**أنا مسلم موحد، أنا كافر؟ أنت اليهودي ... أنا موحد ... أنا موحد ... أنا أقول لا إله إلا الله وأنت تقول عني يهودي ... ينعن بوك يا وِلْد ...**"، وفي المقابل، إذا اختلف أحدنا مع الآخر أو طغى أو غضب ترى من حوله يتطوعون لزجره وإعادته إلى جادة الصواب بالقول: "**وحد الله**" أو "**صلي على النبي**".

هاتان صورتان تعكسان، ولا شك، مكانة التوحيد في حياة الأمة، لكن هل يمكن القول أن الأمة على توحيد خالص؟ ليس من الصعب الإجابة بالنفي على السؤال، فمن يقرأ الكتب التاريخية في المائتي سنة الأخيرة من الحكم العثماني سيصاب بدهشة من فظاعة أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي سادت بين الناس، فالفساد والرشاوى وأسعار الفائدة والابتزاز والسلب والنهب والإغارات القبلية والسمسرة والنفاق والكذب كانت علامات بارزة في حياة الناس الذين تعاملوا معها كما لو أنها عادات اجتماعية أو قدرٌ مقدورٌ خاصة وأننا نتحدث عن قيم عاشت بين الناس وبلغت من الزمن عتيا. على أن أغرب ما في كَتَبَة هذا التاريخ أن الباحث قد لا يجد فيها إنكارا أو تلميحا إلى مخالفة شرعية لا من شيخ ولا من مؤرخ ولا من عالم أو فقيه، ولولا بعض الحركات الإسلامية والدعوية كالوهابية في الجزيرة وغيرها في السودان ومصر لكان حقا على المرء أن يتساءل فعلا: هل كان هؤلاء الناس مسلمين؟ ألم يشعر هؤلاء الناس من الأجداد أن الشرك يداخلهم من كل ناحية؟ وهل يمكن الحديث في ظل هذا النمط من الحياة عن مجتمع إسلامي؟ والحقيقة أنني حين كنت مستغرقا في زمن ما بالاطلاع على مجريات الحياة الاجتماعية العربية في أواخر الحكم العثماني شعرت وكأني أقرأ تاريخا لمجتمعات وثنية أكثر منها مجتمعات إسلامية.

إذن لعل الأمة، ومنذ قرون من الزمان، تبدو أبعد ما تكون عن التوحيد رغم أنها عاشت في خضم غطاء إسلامي ممثلا بالخلافة، فكيف يكون حالها وهي خارج هذا الغطاء منذ نحو قرن من الزمن؟ ألا ينطبق عليهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: **"إذا تبايعتم بالعينة، وتبعتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلَّط الله عليكم ذُلاًّ لا يرفعه عنكم حتى تعودوا إلى دينكم"؟**

في المقابل فلعل أهم ما أنجزته السلفية الجهادية في التاريخ الراهن لهذه الأمة أنها أعادت إحياء وتفعيل التوحيد كأهم مصطلح شرعي على الإطلاق لا يوازيه في المكانة والعمل حتى إعلانها للجهاد. فهي تقيس كل سلوكها وفعالياتها طبقا لمفهوم التوحيد ودلالاته وشروطه بوصفه البارومتر الذي سيؤدي العمل به إلى إعادة استنبات جديدة لكل التشريع الإسلامي بحيث يكون بديلا عن كل التشريعات الأخرى ويسعى لخلق ثقافة مغايرة على النقيض من كل الثقافات والأيديولوجيات التي جلبتها معها سايكس – بيكو.

لا ريب إذن أن عقيدة التوحيد ينبغي أن تكون مقدمة لأية فعاليات تقع على مستوى الأمة باعتبارها منهاج حياة وليست قولا في اللغة ولا مجرد اصطلاح في الدين، فهي الفيصل في الحكم على النوازل التي قد تصيب الفرد والجماعة والأمة مثلما هي الفيصل في الحكم على سلامة الاعتقاد والوطن والمقدسات والحقوق والواجبات، وهي الفيصل في الحكم على كل فعل أو سلوك، وهي الفيصل في الاجتماع والانقسام، بل هي الفيصل في تقرير الأمور لكل الموجودات من خلق الله وما ينتج عنها. وهذا يعني أنه ما من مرجعية يمكن أن يعتد بها غير التوحيد وإلا فهي باطلة، وهذا ينسحب على الأيديولوجيات والسياسات ذات المصادر الوضعية. هذا هو الاعتقاد عند السلفية الجهادية ودونه "**زخرف القول والحياة الدنيا**". لذا فإن أول ما تعنيه السلفية بالقول أن كل سلوك يخالف عقيدة التوحيد هو بالضرورة خارج التوحيد بقدر ما، وفي هذه الحالة فصاحب السلوك المخالف يمكن أن يُحكَم عليه، بحسب قربه أو بعده عن التوحيد، بالآثم أو العاصي أو الفاجر أو الفاسق أو الظالم أو المفارق للجماعة أو الكاذب أو المنافق أو الضال وصولا إلى المرتد والكافر.

بطبيعة الحال سيتولد عن إسقاط المفهوم على الحياة الاجتماعية والاقتصادية تغيرٌ جوهريٌ في أنماط المعيشة والتفكير والسلوك الإنساني والسياسي والاقتصادي والثقافي، وسيغدو التوحيد معيارا لسلامة الإيمان وحسن السلوك وعقلانيته بما أنه لن يصدر عن الهوى بقدر ما سيتقيد بمتطلبات الحكم الشرعي، وإذا كانت سايكس – بيكو تهيمن على الأمة عبر تجزئتها وتفكيكها وغزوها بثقافات وافدة واستباحة أراضيها ومقدساتها وحرماتها والمساس بدينها وعقيدتها وفرض الأنظمة والقوانين الوضعية عليها[3] وخلق أنماط ثقافية ومعيشية تلائمها فإن تفعيل ثقافة التوحيد سيكون بالمرصاد لكل مخرجات العقلية الوضعية ومن يدافع عنها أو يروج لها أو يحتمي بها. وسيجد المسلم نفسه، تحت سقف التوحيد، مدعوا للاستجابة **{ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ}** (الأنفال 24) وليس لصناديق الاقتراع والصراعات الفكرية والحزبية والمفاوضات والمساومات والتحالفات المشبوهة والمدمرة للأمة، كما سيجد نفسه مدعوا للاختيار بين ثنائيات القانون الإلهي أو القانون الوضعي، والعدالة الاجتماعية أو الظلم، والاستقامة أو الفساد، والجهاد والتضحية أو السلامة والذل، والتواضع أو الكِبْر، والصدق أو الكذب، والصرامة أو الميوعة، والحق أو الباطل، وهكذا وصولا إلى التوحيد مقابل الشرك.

والحقيقة الصارخة في أيامنا أن إشكالية التوحيد عصية على الفهم والالتزام **ووزرها أكبر على من يعمل بها** [هذه العبارة غير واضحة المعنى ، فالأحسن أن تغيّر بنحو : وثقلها كبيرٌ ، أو وحِملها كبيرٌ على من يعمل بها] ، لكن لا مفر منها ولا بديل عنها ولا يمكن المساومة فيها، فهي من الحسم بحيث لا تتقبل أية اجتهادات أو رؤى أو تأويلات خارج ما تفرضه من شروط، ولا تقبل بأية مبررات تاريخية تجاه هذه الجماعة أو تلك، ولا تتسامح مع أية مواقف سياسية إلا بإخضاعها حكما لعقيدة

---

[3] د. أيمن الظواهري، **المعادلة الصحيحة**، شريط مرئي، مؤسسة السحاب، 23 / 1 / 2007.

الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراء من الشرك والكفر والطواغيت، فالتوحيد بالنسبة للسلفية هو عقيدة كالسيف القاطع تقسم ولا تقبل القسمة، وتأمر فلا تقبل نفاقا ولا كذبا ولا إفكا ظاهرا أو باطنا، وتَقهَر ولا تُقْهَر، وتفضح كل تُقيا ولا تبالي، وتفرض ولا تجادل، وتبقى هي وما دونها من عقائد وأيديولوجيات تزول، أما من اختار الجهاد فله القول الفصل: **{فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}** (العنكبوت 6)[4].وفي النهاية فـ **{الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ}** (الكهف 29)، فالدوران ينبغي أن يتجه حيث "**تدور العقيدة**"[5] وليس حيث تستدعي الظروف والمصالح وموازين القوى.

هذا المنطق الصارم يمكن إسقاطه على الاقتصاد والسياسة والاجتماع والعلم ... والمقارنة مع منطق الوضعية، ولكننا سنتتبعه هنا فقط في ساحات الجهاد حيث يجري تفعيله على نطاق واسع باتساع الساحات، وسنلاحظ أي نوع من العقليات تربي السلفية الجهادية أبناءها عليه، وأي عقليات تنتج مقارنة بعقلية الجهاد والنضال الوطني. فالتمحيص سيحيلنا حتما إلى العقلية السائدة في التعامل مع الأعداء والتي صيغت بموجب المرجعية الدينية لتكون محملة بالتوجيهات التالية:

- { مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى **يُثْخِنَ** فِي الأَرْضِ} (الأنفال 67).
- { **أَشِدَّاء** عَلَى الْكُفَّارِ **رُحَمَاء** بَيْنَهُمْ} (الفتح 29).
- { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ **جَاهِدِ** الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ **وَاغْلُظْ** عَلَيْهِمْ} (التوبة 73).
- { أُوْلِي **بَأْسٍ شَدِيدٍ**} **(**الإسراء 5)[6]
- { وَمَا **النَّصْرُ** إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ} (آل عمران 126).
- [لَقَدْ جِئْتُكُمْ **بِالذَّبْحِ**]، حديث نبوي متعدد الروايات. [حديث نبوي صحيح]

إذن هي عقلية الجهاد بالغلظة والبأس والشدة والذبح والإثخان في الأرض بالنسبة للأعداء يقابلها

عقلية الرحمة واللين للمؤمنين، فإذا كان النبي ذاته أُمِر بأن يثخن في الأرض أولا قبل أن يأسر من العدو، ويجاهد بالغلظة، ويهدد بالذبح قبل أن يخوض معركة، ويتحلى بالشدة والبأس على الأعداء، ويترحم بالمؤمنين فكيف يصح القول **بأن** يلج المسلمون باب التفاوض والمساومات والديمقراطيات ويعرضوا عن الجهاد؟ لا شك أنها عقلية لا يمكن أن تنتجها ثقافة سايكس – بيكو أبدا بقدر ما تنتجها عقلية التوحيد، وحتى هذه فإن تطبيقاتها في التجنيد فريدة إلى حد ما خصوصا إذا عرفنا أن أغلب مقاتلي السلفية الجهادية هم من صغار السن أو ممن لم يخوضوا تجارب أيديولوجية

---

[4] في هذا السياق يمكن المقارنة بمواقف رموز السلفية الجهادية وقادة تنظيم القاعدة عبر عشرات الإصدارات والكتابات ابتداء من أسامة بن لادن وانتهاء بأبي عمر البغدادي وخاصة أشرطة الظواهري وما تحتويه من مواقف شرعية تجاه الأحداث.

[5] شريط "**العلم للعمل**"، وهو الشريط الذي بثته القاعدة بمناسبة الذكرى الخامسة لهجمات الحادي عشر من سبتمبر عبر مؤسسة السحاب بتاريخ 7/9/2006. واشتهر بـ "**شريط التوثيق لأحداث سبتمبر**".

[6] في هذه النقطة بالذات يقرر **أحد أبرز العقول الاستراتيجية للسلفية [الأحسن الابتعاد عن المبالغة، والاقتصاد في الوصف عموما، والأخ أبو بكر ناجي كاتب له إسهامه في الدعوة لمنهج الجهاد الحق، ولكنه لا يمثل القاعدة بالضرورة، ولا أعرف له انتماءً لها، فيجب الاحتياط والإنصاف]** ما يلي: " **إن لم نكن أشداء في جهادنا وتملكتنا الرخاوة كان ذلك عاملاً رئيسيًّا في فقدان عنصر البأس الذي هو من أعمدة أمة الرسالة ، فإن الأمة ذات البأس هي الأمة التي تستطيع أن تحافظ على ما تكتسبه من مواقع ، وهي الأمة التي تخوض الأهوال وهي ثابتة ثبات الجبال وهذه المعاني فقدناها في هذا الزمن** "، أبو بكر ناجي، **إدارة التوحش**، ص 31.

علمانية أو إسلامية وطنية وبالتالي فلم تتلوث عقولهم ولم تهرم. إنها عقلية العذارى الذين يتقبلون ثقافة التوحيد[7] ويقدرون على تحملها أكثر من أولئك الذين علقت في رؤوسهم أيديولوجيات ورواسب على الأغلب ستحد من نقاوة توحيدهم وقدراتهم على الالتزام بأسخن مخرجاته، فقد يتحمل هؤلاء دخول المعارك التقليدية بالأسلحة النارية ولكن أنَّى لهم أن يتحملوا معارك "**الذبح**" و "**الغلظة**" و "**الشدة**" و "**البأس**"؟

كانوا يقولون لنا: فقط اصمدو قليلا قدر يومين وبعدها ستجدون العالم كله يناصركم ويهب لنجدتكم، هذه هي عقلية سايكس – بيكو وهي تستنجد بالروس أو بالشرعية الدولية أو بأحرار العالم، ولا ريب أنه ثمة فرق بين عقلية العمل والدعاء والتوكل على الله بصيغة **{وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}** (التوبة 105)، أو **{وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ}** (الأنفال 10) وبين عقلية الاتصالات السياسية والوساطات والتدخلات والشرعية الدولية. وثمة فرق أعظم بين ثقافة الجهاد وثقافة المقاومة والنضال[8]، وفرق مماثل بين عقلية تستنجد بالله وتستمد النصر من عنده غير آبهة، بعد الإعداد بقدر الاستطاعة، بالنتائج وأخرى تحسب حسابا دقيقا أو مغلوطا لموازين القوى السياسية والعسكرية وما إذا كانت الظروف ملائمة لخوض معركة أم لا.

هذا المنطق الصارم أيضا يمكن استعماله لملاحظة ردود الفعل على فعاليات الجهاد بالمواصفات السلفية، ذلك أن أقل الاتهامات الموجهة للمجاهدين هي الدموية والقتل والإجرام وسفاكو الدماء، فما تقوم به مثلا دولة العراق الإسلامية والقاعدة ليس من الجهاد في شيء وليس من الأخلاق الإسلامية، أما لماذا؟ فلأن العدو إذا كان يسمح لنفسه بالقتل العشوائي وارتكاب أبشع جرائم الحرب ضد الإنسانية ويستعمل أشد الأسلحة فتكا بما فيها المحرم دوليا فهذا شأنه! أما نحن فأخلاقنا الإسلامية وديننا لا يسمحان لنا بمجاراته في جرائمه ولا بالتشبه به، لذا علينا ألا ننزلق إلى أخلاقه!، أما **{ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ }** (البقرة 194) فهذه مسألة فيها ما يقال. وكأن خصوم السلفية، بهذا الخطاب، ينتظرون منها جهادا رقيقا ناعما يستجيب للغة العصر ويرأف

---

[7] لأبي بكر ناجي رأي لافت ومثير في الوقت نفسه فيما يتعلق بهذه النقطة، إذ يقول في "**إدارته**": " **على فرض أننا نحتاج لمعركتنا الطويلة حتى تنتهي كما نريد - بإذن الله - نصف مليون مجاهد - افتراضاً - فإن إمكانية ضم هذا العدد من أمة المليار أسهل من ضمهم من شباب الحركة الإسلامية الملوث بشبهات مشايخ السوء ، فشباب الأمة على ما فيهم من معاصٍ أقرب للفطرة , وخبرات العقود السابقة أثبتت لنا ذلك ، أما الأحداث الأخيرة فقد وضح للجميع أن العامي بفطرته تفاعل معها أفضل بمراحل من قَعَدَة الجماعات الإسلامية الذين سلموا دينهم لأحبار ورهبان السوء**". نفس المصدر السابق، ص 21.

[8] ثمة مقالة تجتهد في بيان بعض الفروق بين مفهومي الجهاد والمقاومة، إذ يشير كاتبها إلى: " **إن معظم الثورات المُسلحة والبنادق المُقاتلة تتحكم بها وتُوجهها إما عقائد دينية أو أيديولوجيات سياسية لها أهداف يسعى أصحابها إلى إنجازها بالقوة وهُم يُنظرون لهذه الأهداف وكيفية تحقيقها مُستخدمين بتنظيراتهم مفاهيم ومصطلحات تعبر عن مضمون عقيدتهم وأيدلوجيتهم التي يحملونها ... فكل أيدلوجية سياسية أو عقيدة دينية لها مُصطلحاتها ومفاهيمها الخاصة التي تعبر عن منظومتها الفكرية، ومن خلال هذه المفاهيم والمصطلحات نستطيع بسهولة تحديد ماهية هذه العقيدة إن كانت دينية أو أيديولوجية سياسية**"، **مقالة**: محمد أسعد بيوض التميمي، "**في فقه المعركة: جهاد في سبيل الله وليس ونضال ومقاومة**"، http://islamouna.info/dnn/MemberDetails.aspx?Id=35.

بالأعداء! وغني عن البيان أن مثل هذه الردود لو عملت بها السلفية الجهادية لما كان هناك جهاد إلا بمواصفات سايكس - بيكو الوطنية وهو ما تعده السلفية خارج التوجيهات الدينية ومخالفا للشرع وحينها ما من معنى للغلظة والشدة والإثخان[9].

لكن الخلاف بين الجهاد الوطني والجهاد السلفي لا يتوقف عند عقلية الشدة والبأس بقدر ما يمتد ليصل إلى تخوم جبهة الأعداء، فالعدو عند السلفية هو عدو سواء كان محليا أو أجنبيا، ولأنه كذلك وحالة العداء قائمة فلا تصالح معه ولا مهادنة، لكنه عند الخصوم يمكن أن يكون بريئا وضحية كما هو الحال بالنسبة لضحايا أبراج التجارة العالمية أو تفجيرات لندن ومدريد وبالي وغيرها. أو حين دمرت جماعة التوحيد والجهاد مقر الأمم المتحدة في العراق. وفي المحصلة فإن مثل هذه الأحداث التي خفت حدتها ظلت تستعمل كمبررات للطعن في مشروعية الجهاد العالمي. لكن الأطروحة السلفية تؤكد أن الخلاف قائم ليس على شرعية الأهداف من عدمها بل على مضمون التوحيد نفسه وما يفرضه من اختيارات والتزامات بعكس ما تفرضه المرجعيات الوطنية وتأويلها للتوحيد.

وفي السياق من الجدير الإشارة إلى أن مسألة التوحيد تشكل جوهر الخلافات التي تعصف بالجماعات الجهادية في العراق على خلفية مستقبل البلاد وبالتحديد بين تيارات السلفية الجهادية من جهة وتيارات الجهاد ذات النزعة الوطنية من جهة أخرى. ويمكن القول بصريح العبارة إن كل الصراعات والاتهامات والتحالفات وردود الفعل والحملات الإعلامية وغيرها أيا كان محتواها أو آلياتها إن كان لها من منطق فهو منطق واحد لا يتجاوز مسألة التوحيد بأي شكل من الأشكال، إذ أن **السؤال المطروح: هو: لماذا نقاتل؟ ولأية أهداف؟**[10]**:**

- إذا كان الجواب، بلغة السلفية، لتعميم التوحيد وتحرير بلاد المسلمين وإقامة حكم الله في الأرض فهذا يعني أن الجهاد ماض لن يتوقف بقدر ما سيعمل على عبور الحدود، فكما في العراق وأفغانستان والشيشان وغيرها موحدون ففي فلسطين والأردن وسوريا ولبنان ومصر والمغرب ونيجيريا وإندونيسيا والفلبين موحدون أيضا، فلمن يُترَك هؤلاء؟ وبأي توحيد يمكن إهمالهم؟
- أما إذا كان الجواب من أجل التحرير وطرد الاحتلال واستعادة العراق لحريته وكفى الله المؤمنين شر القتال فمن الطبيعي أننا إزاء منظومتين فكريتين متناقضتين ليس وقوع الصراع بينهما غريبا خاصة وأن التوحيد مسألة لا تقبل القسمة بحيث يمكن توزيعها وفقا لاحتياجات ومتطلبات هذه الجماعة أو تلك. فالتوحيد إذن واحد، وما ينطبق على هذه الجماعة أو البلد ينطبق بالضرورة على تلك.

غير أن أهم الملاحظات على تعميم ثقافة التوحيد لدى السلفية الجهادية تكمن فيما تتلقاه من اتهامات بالتكفير لدرجة أن الخصوم باتوا يلمزونها أو يجهرون صراحة بوصمها وروادها بـ "**التكفيريين**". على أن القاعدة تنفي هذه التهمة

---

9 لاحظ الحسم الذي يصر عليه "**ناجي**" في المسألة: " **لا يمكن أن يستمر القتال وينتقل من مرحلة إلى أخرى إلا إذا كانت مرحلة البداية فيه مرحلة إثخان في العدو وتشريد به، بل يحتاج لهذه الشدة في المراحل الأخرى في كثير من الأحيان**"، **راجع**: أبو بكر ناجي، **إدارة التوحش**، مصدر سابق، ص 31. ويمكن ملاحظة التطبيقات في هذا السياق في ضوء الإعلان عن دولة العراق الإسلامية التي جاءت كمحصلة لما سبقها من مرحلة النكاية حيث الإثخان والبأس ولكن دون أن يعني هذا أن المرحلة اكتملت.

10 يمكن العودة في هذا السياق إلى خطاب القاضي الشرعي لدولة العراق الإسلامية أبو سليمان العتيبي في شريطه المرئي الأول بعنوان: "**لماذا نجاهد؟**"، 12/4/2007.

جملة[11]. وحقيقة الأمر أن مسألة التوحيد بحد ذاتها هي مصدر الاتهامات باعتبار الكفر رديفا لها، ولعل ساحات المنتديات في الشبكات الجهادية هي من ساهم مساهمة فعالة بتعميم فكرة التكفير بسبب المشاحنات الحامية بين الأعضاء والعجلة في إصدار الأحكام حتى على صغائر الأمور مع الإشارة إلى ما يراه الشيخ عطية الله وغيره اختراقات للمنتديات[12]. لكن هذه المشكلة التي غالبا ما يقع تجاوزها في ساحة ما يستعصي مواجهتها في ساحات أخرى أكثر أهمية خاصة حين تكون في الميدان الجهادي أو على تماس مباشر مع المجتمع. فبعض المنتسبين للسلفية الجهادية وصلوا مرحلة من الاعتقاد والسلوك تستعصي على الفهم فيما يتعلق بالتوحيد والكفر ومتطلبات الحياة اليومية، وإذا ما تعارضت قناعاتهم وأفهامهم مع العلماء والفقهاء من السلف فلا يجدون غضاضة من التنكر لهم وعدم الأخذ عنهم، وحتى فقه الضرورات لا يعملون به ولا يقيمون له وزنا فتراهم عالة على أنفسهم وأبنائهم وغيرهم خاصة وأنهم لا يعترفون بمؤسسة ولا بهوية ولا بجواز سفر ولا بفاتورة كهرباء أو ماء أو هاتف ولا بأية علاقات مالية متضمنة لمدفوعات ضريبية للدولة، ولو رغبوا في الزواج لفضلوه بلا عقد! بل أنهم لا يتوانون عن التكفير لأتفه الأسباب، وإذا فعلوا قاطعوا الآخر حتى لو كان من أقرب المقربين فلا يسلمون عليه ولا يدعون له ولا يجالسونه ولا يجادلونه لا بالحسنى ولا بغيرها، والحوار معهم منقطع، ولعل النبذ والعزل كان من نصيبهم لما تسببوا فيه من التنفير والأذى للعامة والخاصة وللدين، ومثل هؤلاء يتبرأ منهم حتى أنصار السلفية الجهادية لجلافتهم وتعنتهم وسوء معاملتهم وتطاولهم على المجاهدين وعلى مشايخهم[13].

واقع الأمر أن هذه الخلافات والردود والصور مبررة بما أنها تكشف حقيقة عن أن التوحيد في الأمة موضع خلاف بالنظر إلى اختلاف منظومات القياس لدى القوى الإسلامية ناهيك عن القوى العلمانية وحتى أنه موضع جهل مدقع لدى الأفراد، فالأمة حتى هذه اللحظة لم تبلغ تحقيق التوحيد كاملا بعد، وليست على دراية به ويصعب التعويل عليها بالنظر لحجم التخريب الذي أوقعته الأنظمة السياسية والثقافات الغربية في عقولها[14]، ومع ذلك فالسلفية الجهادية ماضية في شدتها وغلظتها حتى لو كلفها ذلك حياة كل رموزها ومقاتليها، ولا يتسع المجال لذكر الكثير من الشواهد والاستدلالات على ذلك، لكن من الملفت للانتباه ملاحظة العبارة

---

11 ثمة ردود عديدة وردت على ألسنة رموز القاعدة والسلفية الجهادية من بينها ما ورد على لسان الشيخ أسامة بن لادن في **مقابلته المرئية مع الصحفي تيسير علوني** في أفغانستان (أكتوبر عام 2001) والتي لم تنشرها قناة الجزيرة.

12 الشيخ عطية الله، **لقاء خاص مع مركز اليقين**، وبحسب المركز فقد [أنجز اللقاء عبر المراسلة في العشر الأواخر من جمادى الأولى 1428هـ/يونيو 2007م]. وكذلك يمكن مطالعة قصيدة الشيخ حامد العلي عن **"أشباح الانترنت"** على موقعه: .http://www.h-alali.info/q_open.php?id=6dc55ba4-543f-102a-b164-0010dc91cf69

13 يرجع البعض فهم ظاهرة التيار التكفيري إلى بعض طلبة العلم والمجاهدين ممن أخذتهم العصبية في السلفية وكأنها مذهبا وليس منهجا، ومثل هؤلاء تسببوا بأذى بالغ للجهاد والمجاهدين وحتى على مستوى الأمة، ويذكر السوري قولا لأحدهم يصفه بأعجب ما سمعه: =

= " **إن الجهاد يجب أن يكون سلفي الراية, وأن تكون قيادته سلفية التركيب, وأحكامه سلفية المنهج, وأن يكون كل شيء بالدليل.. ولو قبلنا أن يجاهد معنا من ليس سلفيا فمن باب الحاجة, ولكن ليس لهم أن يكون لهم من القيادة شيء وإنما نقودهم مثل البقر لأداء فريضة الجهاد!!**". **وردت لدى**: أبو مصعب السوري، **دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**، ص 952.

14 أبو بكر ناجي، **إدارة التوحش**، مرجع سابق، ص 21.

الطريقة التي قالها أبو حمزة المهاجر في خطاب له وهو يعقب على سياسات الحزب الإسلامي تجاه مشاركتهم في حكومة نوري المالكي وعلى الإخوان المسلمين في العراق وغيره: **" لا نريد منكم شيئاً؛ فقط دعونا والعدو فإن انتصرنا عليه فهو عزّ الدنيا والآخرة لنا ولكم، وإن قضي علينا فهي شهادةٌ لنا وتكونوا قد استرحتم منا ولن تلقوا الله بدمائنا"**[15].

ثانيا: "محاربة الطواغيت"

يحفل لسان العرب لابن منظور بعديد المعاني والدلالات المشتقة من كلمة "**طَغي**" التي تعني في أول معانيها "**جاوز القدْر وارتفع وغلا في الكفر**". ومن تصريفاتها اللغوية "**الطاغوت أو الطواغيت**" **وتنسحب** على "**الواحد والجمع والمذكر والمؤنث**" من "**الجن والإنس**"، وتتخذ من المعاني أسماء ودلالات لها كـ "**الشيطان**" و "**الكاهن وكل رأس في الضلال**" و "**الأصنام**" و "**الأحمق المستكبر الظالم**" و "**الذي لا يبالي ما أتى يأكل الناس ويقهرهم لا يثنيه تحرج ولا فَرَقٌ**" و "**من طغى بالكفر وجاوز الحد**" و"**هم عظماؤهم وكبراؤهم**" و "**الجبت والطاغوت**" حيث ينسحب "**الجبت**" على أسماء بعينها مثل "**اليهوديين حيي بن الأحطب وكعب بن الأشرف**" فيما "**الطاغوت**" توصيف يمس "**رئيس النصارى**" كـ "**ملك الروم**".

هذه التوصيفات اللغوية غالبا ما يقع إسقاطها على الحاكم، ففي كل مناسبة نجد دعوات تنهال على الحكام الطواغيت مصحوبة بسيل من الاتهامات بموالاة الكفار والمشركين أو بمنعهم الجهاد أو بقمعهم لشعوبهم أو بسيطرتهم على ثروات البلاد أو بهيمنتهم على الشعوب أو حتى باختزال الوطن بشخصياتهم، في حين أن الطاغوت في التوصيف القرآني ليس له هوية أبدا، قال تعالى: **{فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ}** (البقرة 256)، ومن الواضح أن الآية:

- فيها عمومٌ (الطاغوت) بحيث يدخل فيها الحاكم وغير الحاكم من الناس وغير الناس.
- كما أنها لم تحدد هوية الطاغوت الدينية هل هو المسلم أم الكافر.
- مثلما أنها لم تحدد جنسيته هل هو عربي أم أجنبي، وهل هو أفريقي أم آسيوي، وهل هو أوروبي أم أمريكي ...الخ
- فضلا عن أنها لم تحدد هوية الطغيان فيما إذا كان اقتصاديا أو اجتماعيا أو سياسيا أو ثقافيا...الخ

[15] أبو حمزة المهاجر، تسجيل صوتي بعنوان: " **قل موتوا بغيظكم** "، 5/5/2007.

- وبالتالي فالآية تنبئ عن طغاة وطغيان كائنين في كل مكان وزمان.

واقع الأمر أن للمفهوم سعة لا حدود لها بحيث ينطبق على الفرد والمجتمع والمؤسسة والحزب والجماعة والأيديولوجيا مثلما ينطبق على كل ما يعبد من دون الله سواء كان مسلما أو غير مسلم، ولعل سبب حضوره الطاغي في عالمنا العربي والإسلامي أكثر من غيرهما أن الحاكم بالذات هو المتهم بكونه طاغوتاً يمارس الطغيان، فالحاكم، بعرف السلفية الجهادية[16]، جاوز كل حد في تبعيته للقوى العدوانية والشريرة والكافرة ونسج معها كل التحالفات الضامنة لبقائه في الحكم وتوريثه وخاض الحروب ضد شعبه وضد المسلمين بشكل مباشر أو بالوكالة، وهو الأمر الذي يدخل في بابي الاضطهاد أو الاستعانة بالمشرك على المسلم ما يكفي لإخراجه من الملة وبالتالي [تحذف هذه الكلمة لأنه لا تلازم عند السلفية الجهادية بين كفر الحاكم وجواز خلعه] جواز خلعه. بل إن السلفية الجهادية تذهب أبعد من ذلك حين توسع من المفهوم بالقدر الذي يتيح لها أن تسبغ على الحاكم صفتي الهيمنة والنفوذ اللتين تجعلان منه ليس مشركا فقط بقدر ما بات وكأنه صارَ "**ربا يعبد من دون الله في الأرض**"[17]، فهو الحاكم المطلق بأمره، المشرع من دون الله والحاكم بغير شريعته، وهو المتصرف بأمر البلاد والعباد، وهو الرئيس المؤمن والإمام المبايَع وصاحب العطايا والهدايا، وقائد الجيش ورئيس البلاد وباني عزها ونهضتها ومجدها، وهو كبير تجارها وأثريائها ومشايخها وأمير أمرائها، ولديه من الصفات ما يشبه الغزل ومن الألقاب ما يجعله صاحب سلالة ومن النياشين ما يثقل كاهله ولا يتسع لها صدره، ومن المنجزات ما جعل شعبه من أرقى الشعوب ووضع دولته في مصاف الدول المتقدمة! بل هو فرعون العصر.

هذا الحاكم ظل حريصا على تراث ميكيافيلي ووفيا لمبادئه ونصائحه، لكنه ليس مثيلا لقادة أوروبا الميكيافيليين الذين يلعبون دورهم المسند إليهم، ففي عالمنا العربي خاصة والإسلامي عامة يتجاوز الحاكم حتى النزعة الميكيافيلية نحو نزعة عجيبة غريبة على الحكام في الدولة الحديثة. وفي هذا السياق يقدم المفكر الكويتي عبد الله فهد النفيسي توصيفا طريفا لما يسميه بـ"**الطغيان السياسي**" العربي الذي يعد واحدا من بين ثلاثة مشاكل تعاني منها الأمة العربية بالإضافة لـ "**سوء توزيع الثروة والتحلل الاجتماعي**"، ويرى أن هذا الطغيان الذي يعني "**استئثار القلة بالقرار السياسي**" على حساب الأغلبية زاد في دول الخليج لأن "**النظم الحاكمة في الجزيرة العربية بلا استثناء تمارس الحكم والتجارة في نفس الوقت، فهي تحكم وفي نفس الوقت هي كتل في السوق تزاحم الناس على أرزاقها، هي تشتري الأراضي وتبيع الأراضي وتدخل في مقاولات ومناقصات وتدخل في عالم المال والأسهم وإنشاء الشركات وإسقاطها، وفي نفس الوقت تقرر سياسيا، والذي يجمع الحكم والتجارة حتما سيحرف القرار السياسي لمصلحته، ولذلك كان هذا محرما في الشريعة الإسلامية ... وهذا ما جعل للطغيان السياسي منصاته القوية على الأرض**"[18].

---

[16] أغلب التيارات الإسلامية لها رؤى مناقضة لما تراه السلفية الجهادية، إذ تعتبره تيارات أخرى كمن يسمون بالمدخلية والجامية وأصحاب الإرجاء ولي أمر . أما السرورية مثلا فتعتقد في الحاكم كل شيء إلا أن يكفر، فهذا عندهم ضيق النطاق جدا.

[17] أفضل مقارنة مع شريط أبي يحيى الليبي الموجه إلى السلطات السعودية ومفتي المملكة عبد العزيز آل الشيخ، والشريط بعنوان: "**توحيد آل سعود وتوحيد الحق**"، جمادى الأولى 1428 - أيار /مايو 2007.

[18] كامة د. عبدالله فهد النفيسي، ندوة بعنوان: "**أثر التحولات العالمية والإقليمية على مواقف التيارات الإسلامية في منطقة الخليج**"، قناة الجزيرة ،

السؤال البسيط: لماذا لا يلعب الحاكم دوره كمهنة ويكتفي بمنصبه؟ ولماذا يصر على لعب أدوار اقتصادية واجتماعية وثقافية ليست من اختصاصه ولم يُدعَ إليها ولا هو مؤهل لها؟ ولماذا يصر على الحضور الإعلامي اليومي؟ ألأنه والدولة قويان بما فيه الكفاية؟ أم أنه والدولة مجرد ظاهرتين طارئتين، وبالتالي فهو في موقع غنيمة ينبغي الاستفادة منها إلى أقصى الحدود قبل أن ينقضي أجلها؟

وفي الحقيقة فالطغيان السياسي ليس مقتصرا على الحاكم، وكما قال النفيسي، فقد باتت له منصات، وهو ما يعني أن القوى الاقتصادية والاجتماعية المتنفذة ضليعة حتى النخاع في لعب دور الطغاة وممارسة الطغيان. فمن يمتلك المال بالتأكيد سيمتلك السلطة والقرار أو على الأقل هو مساهم في صناعته سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. وعلى الرغم من أن الشرائح الاقتصادية المتنفذة في عموم العالم العربي لم تكن تملك من الثروة الشيء الكثير قبل مائة عام، ولم تكن محسوبة على القوى الاجتماعية ذات النفوذ العريق على قلتها إلا أن مصادر الثراء ذاتها ولدت بطرق غير شرعية البتة[19]، بل أن ما يوصف، عبثا، بالبرجوازية العربية الكبرى، ليس إلا طبقة مشبوهة ومخلعة الجذور صنعتها ظروف معينة ودعمتها القوى الاستعمارية وثبتتها الدولة الوطنية[20]، وبالتالي فهي طبقة لم تكن أصيلة في يوم ما ولا ذات علاقة بالعلم أو المعرفة ولم تراهن عليهما قط في بناء ثرواتها لأنها لم تكن خيارا اجتماعيا رأسماليا بقدر ما هي خيار سياسي أيديولوجي صرف[21].

هذه الطبقة تجيد القول بأن المال ليس له وطن! فتبرر بذلك هجرة رؤوس أموالها خارج أوطانها، وهي بذلك تساهم في الإفقار، والأسوأ من ذلك أنها أبعد ما تكون عن أية مسؤولية دينية أو أخلاقية، ولو سئلت عن زكاة أموالها المنقولة وغير المنقولة لأطبقت صمتا بينما لا يضيرها حجم الترف والبذخ وتبديد ثروات لو وزعت على مستحقيها لكفت الأمة برمتها. فكيف لا تكون جزءاً أصيلا ومؤثرا من الطغيان؟

في المجتمعات العربية فإن التشكيلات السياسية الكائنة يغلب عليها الطابع القبلي، فالقبيلة باتت عضوا مؤسسا في كافة المؤسسات المدنية من أحزاب ونقابات وجمعيات ونوادي وحتى قادة في الجيش، بل إن التشكيلة السياسية في الحكم تراعي إلى حد كبير التوازنات الاجتماعية القائمة على النفوذ القبلي، وكذا الأمر في الجيش والقضاء والسلطة والأمن والاقتصاد، وتبعا لذلك سينشأ بفعل هذه التقسيمات والهيمنات منظومة قيمية يجري التحاكم إليها والدفاع عنها كما لو أنها النموذج الثقافي الأسمى، فماذا بقي للدين والأخلاق والعلم من حضور في ظل هذا الطغيان؟

ولعل أطرف المشاهد الاجتماعية على الطغيان ما يمس الفرد ذاته، فلما يغيب القانون وتغيب الشريعة ويغيب الوازع فمن الطبيعي أن تتقدم النوازع النفسية الشريرة خطوات إلى الأمام، وهي صورة يمكن أن نجدها مجسدة أكثر في المجتمع المصري وريث الثقافة الفرعونية القائمة على ثنائية "**السيد – العبد**" وليس "**الأسياد – العبيد**"، والأغرب أن مثل هذه الثقافة يجري الترويج لها والدفاع عنها في وسائل الإعلام والمنشورات والفضائيات على مرأى ومسمع من الدولة ومن أفراد وليس من جماعات فقط! ولا شك أن الفضل في كشف التعذيب في السجون

25/6/2006. وردت مقتطفات منها في شريط د. أيمن الظواهري بعنوان: "**نصيحة مشفق**"، مؤسسة السحاب، 5/7/2007.

[19] د. أكرم حجازي، **تاريخية البرجوازية العربية – مجرد بروليتاريا**. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات (محكمة) / رام الله– فلسطين / العدد الثامن، تشرين أول - أكتوبر 2006م، ص 297 - 303.

[20] **نفس المرجع**.

[21] **نفس المرجع**.

المصرية ومراكز التوقيف والتحقيق يعود للمدونين الذين نشطوا في الدفع بالظاهرة المتجذرة إلى العلن بعد أن كانت حبيسة أجهزة وزارة الداخلية والمخابرات. ولما تُسأل السلطات المصرية أو القريبون منها عن ممارسات التعذيب كاللواء فؤاد علام تأتي الإجابة محملة بقدر كبير من البلاهة: "**بالتأكيد هي ممارسات فردية**"! والحقيقة أن الطغيان الفردي يمكن أن يكون أخطر من الطغيان الجماعي أو المؤسسي كونه يعكس ثقافة اجتماعية شاملة وعميقة جعلت من الفرد حاضنا لها لاسيما وأن لسان حاله سيغدو على شاكلة من يقول: " **أنا سيد على من هو دوني**"، وحينها سيكون سهلا على من يمسك بالسلطة كرجال الشرطة أن يتحولوا إلى طغاة يلقوا برجل م ن عل أو يعذبوا آخر في أعضائه الجنسية أو يسقطوا هذا وذاك أخلاقيا ويهددوا آخرين بالاغتصاب أو وفعل الفاحشة [أنصح باجتناب الكلمة التي كانت مكتوبة في الأصل قدر المستطاع، فإنه كلمة قبيحة بشعة مستكرهة].

ثالثا: سايكس – بيكو، واقع وثقافة

لم تكن معاهدة سايكس – بيكو سنة 1916 بين القوى الكبرى (فرنسا وبريطانيا) في أوائل القرن العشرين إلا ثمرة اتفاق على تقاسم تركة الإمبراطورية العثمانية. هذه المعاهد نتج عنها **(1)** فرض استقلال تركيا في دولة مستقلة و **(2)** إلغاء نظام الخلافة الإسلامي و **(3)** تقسيم ما أسمي استعماريا بالوطن العربي و **(4)** فرض الوصاية على 21 جزء منه تحولت إلى دول مستقلة، ومن **(5)** ثم فرض التبعية السياسية والاقتصادية والقانونية والثقافية عليها، وأخيرا **(6)** زرع الدولة اليهودية في قلب المنطقة العربية في **(7)** عملية تقطيع أوصال حضارية، و **(8)** منع أية عملية توحد في المستقبل بفعل القوة الجديدة في المنطقة.

هذا أقل ما فعلته معاهدة سايكس – بيكو لتبدأ عملية الاشتغال الثقافي تأخذ المنحى الغربي التام حتى في الأنماط الثقافية والحياتية العامة والخاصة. لذا فإن سايكس – بيكو ليست ولم تعد مجرد معاهدة استعمارية بقدر ما هي حالة ثقافية بأتم معنى الكلمة واقعا وسلوكا. بل إن [يتكرر هذا الخطأ النحويّ كثيراً، فأرجو الانتباه له، فإن الهمزة هنا يجب أن تكون مكسورة لأنها في ابتداء جملة] التقسيمات الجغرافية والتي صمم الكثير منها بصيغ خطوط الطول والعرض وأخذت شكل الدولة المستقلة، ومنذ اللحظة الأولى، ظهرت كما لو أن كلا منها سليل حضارة مستقلة قائمة بذاتها حتى لو لم يكن الأمر كذلك تاريخا، وحتى لو اضطرت مثل هذه الدول إلى زراعة حضارات وتواريخ لها من جديد أو إعادة استنبات المدفون منها.

كان لدينا أرضٌ واحدة وأمة واحدة وعقيدة واحدة وثقافة واحدة وحاكمٌ واحد ونظامٌ واحدٌ واقتصادٌ واحدٌ وبضعة بحار، والآن لدينا 22 دولة و 22 بقعة جغرافية و 22 شعب عربي أو مسلم و 22 أمة و 22 قومية يحكمها 22 نظام سياسي و 22 عقيدة و 22 حضارة و 22 تاريخ و 22 ثقافة و 22 نظام تعليمي و 22 اقتصاد و 22 سياسة و 22 منظومة قانونية و 22 بحر و 22 فضاء، وكان لدينا حرمان شريفان فصار لدينا نجف أشرف! وقائمة لا تنتهي من التمزق[22]. والأهم من هذا أن أحدا من الأجيال الراهنة، حكاما ومحكومين، لم يعش في حياته لحظة عروبة واحدة ولا لحظة توحيد صافية منذ مائتي عام على الأقل.

---

[22] يرد الظواهري على من طالب الدول العربية بنصرة العراق فيقول: "**هذه الدول لا نصرت عربا ولا عجما ولو كانت تريد نصرة عرب العراق لنصرتهم قبل الغزو وأثناءه**"، د. أيمن الظواهري، "**دروس وعبر وأحداث عظام في سنة 1427هـ**"، شريط مرئي، مؤسسة السحاب، 1428هـ.

ولعل أطرف ما في سايكس – بيكو كثقافة ما قرأناه وتعلمناه عن ثورات وحركات تحرر واستقلال عن القوى الاستعمارية، فما أن حلت هذه القوى حتى شرعنا في تدشين ثورات وطنية من أجل الحرية والاستقلال! ولم نعد نطالب لا بالتوحد ولا بالخلافة. وكم كان الاستعمار كريما وهو يسمح لنا بمناهضته بالسلاح بينما هو في قمة النشوة أن مخططاته نجحت سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وحتى طائفيا وصارت سايكس – بيكو واقعا وفكرة وعلامة تحرر وتقرير مصير! فمن يصدق اليوم أن السنة والشيعة في العراق اتحدوا آنذاك في جبهة واحدة ليشكلوا كتائب العشرين التي أذاقت الإنجليز الويلات؟ بينما نفس القوى الغازية للعراق اليوم تشعل الحرب الطائفية بأبشع صورها؟ هل كانت أهداف الاستعمار آنذاك توحيد القطر المقسم؟ واليوم وجدت نفسها مضطرة لتفكيكه؟ لعلنا كنا مغفلين ونحن نصنع سايكس – بيكو بأيدينا وإلا فهل ينجح الاستعمار مع عقلاء؟

تنظر النظرية الماركسية إلى المجتمع باعتباره مكون من بنية تحتية وبنية فوقية، وإذا وضعنا سايكس – بيكو في مستوى البنية التحتية فإن كل ما أنتجته وتمظهر في البنية الفوقية هو بالتأكيد من ذات الصناعة والمحتوى. وهو بلغة ماركسية مجرد أيديولوجيا لا أكثر ولا أقل. لذا فإن السلفية الجهادية ترفض كل البناء باعتباره بناء باطلا ومخالفا للشريعة. وعليه ينبغي هدمه من الأساس لإعادة البناء من جديد على أسس شرعية، فهل يكفي هذا التوصيف لنفهم حقيقة العبارة التي ترددها السلفية وأنصارها على الدوام والتي تحولت إلى أساس كل صراع[23] "**الدم الدم والهدم الهدم**"؟ [ليس هذا هو معنى هذه العبارة ، بل معناها : الولاء الكامل والنصرة التامّة الذي لا ينقض، فدمي دمُك وهدمي هدمُك... هذا معناها الأصليّ]

من العبث التفكير بأن صراع السلفية الجهادية مع الأنظمة السياسية العربية هو صراع فردي أو سياسي، ونكاد نجزم أن أحدا من رموز السلفية الجهادية الذين تعج بهم أخبار وسائل الإعلام ومحافل الأمن لم يكن في يوم ما في السلطة ولا خاض معها صراعا على امتياز. والأصح التفكير بالصراع باعتباره صراعا بين منظومتين فكريتين إحداهما عقدية والأخرى غير عقدية، فما الذي تعنيه السلفية الجهادية حين تصف مخالفيها بأنهم صناعة سايكس – بيكو وحملة ثقافتها؟

على الصعيد السياسي، وتأسيسا على عقيدة التوحيد، فإن موقف السلفية الجهادية من الجماعات الإسلامية كافة يتحدد بالنظر إلى تفاعلها سلبا أو إيجابا مع ما أنتجته سايكس - بيكو من مؤسسات وأنظمة وقوانين وأيديولوجيات ومفاهيم ومصطلحات وغيرها[24]. فالوطنية والقومية واليسارية والليبرالية هي مفاهيم أيديولوجية رافقت ظهور الدولة الحديثة مثلما رافق ظهورها الحاكم والقبيلة والعشيرة والحزب والنقابة والمؤسسة، أما الدعوة إلى تعميم الوعي والديمقراطية والعلمانية والحرية والقانون والنظام والحقوق والواجبات أو المناداة بها وإسقاطها على كامل المجتمع فقد تلازمت هي الأخرى، على السواء، مع نواقضها من التسلط والقمع والسجون والمطاردة والتضييق على الحريات وانخفاض خطير في سقف المطالب الاجتماعية إلى حد البحث عن الأمن والملاذات الآمنة، وليس أدل على ذلك من حجم اللجوء السياسي لمواطنين عرب إلى الدول الغربية وحتى إلى دول مجاورة، وقس على ذلك ما تشاء من الإفرازات حتى أن المعارضة لا يمكن لها أن تفلت من كونها جزءاً من التكوينة الاستعمارية بقطع النظر عن أية معايير أخرى بما فيها المعايير الراديكالية مهما بلغت من المصداقية وقدمت من تضحيات[25].

---

[23] أبو مصعب السوري، **دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**، مصدر سابق، ص 1190

[24] د. أيمن الظواهري، **المعادلة الصحيحة**، مصدر سابق.

[25] د. أيمن الظواهري، "**دروس وعبر وأحداث عظام في سنة 1427هـ**"، مصدر سابق.

الأهم في سايكس - بيكو بوصفها حالة ثقافية هو ذاك الخراب الذي أصاب القيم الاجتماعية في الصميم، إذ أن قيم العنصرية تضرب الغالبية الساحقة من البلدان العربية وتجد من يدافع عنها ويتفاخر بها، وأكثر من ذلك فيما يتصل بقيم من المفترض أنها منبوذة عقديا وشرعيا إلى حد اعتبارها من الكبائر كالكذب وشهادة الزور والسرقة والفساد والزنا والغدر والاحتيال والنصب والاحتكار واللامبالاة والاستهتار حتى في الدين وسب الإله والأنبياء، ولا غرابة إذا قلنا، من واقع التجربة والمعاينة، إن بعض المجتمعات العربية تغزوها اليوم أحط القيم وأشدها تناقضا لدرجة أن المرء يتساءل فعلا إن كانت هذه المجتمعات ذات قيم إسلامية كما يروج لها القائمون عليها أو أن لها علاقة ما بالإسلام! إذ من السهل ملاحظة شيخ نصاب ومصلٍ كذاب ومحدث جاهل وجار سوء وصديق غادر ومتبرجة تصوم وموظف لئيم وزانية تعمل بترخيص حكومي.

ولا شك أن مثل هذه المشاهد في رحاب سايكس – بيكو تبدو أكثر غرابة لدى الحركات الإسلامية التي نالت القسط الأكبر من هجوم السلفية الجهادية عليها، فبعض الجماعات الجهادية نكصت على عقبيها وبات خطابها السياسي والديني أشد وقعا على الجهاد والمجاهدين وقضايا الإسلام من خطاب السلطة ذاته الذي يضطر في كثير من الأحايين إلى التواري في تصريحاته خشية إثارة الرأي العام من حوله فيما لا تتوانى جماعة إسلامية، على خلفية أحداث مخيم نهر البارد، عن تقديم الفلسطينيين وكأنهم المذنبون فيما وقع عليهم من ظلم تاريخي فضلا عن أن مسلحيهم لا يحترمون البلدان المضيفة لهم[26]. أما القضايا الكبرى مثار الخلاف فتكمن فيما تعتبره السلفية الجهادية تراجعا من هذه الجماعات عن الأهداف التي نشأت من أجلها كقضايا الحاكمية والجهاد والموقف من الدولة و"**أنظمة الطواغيت**" والتحالف مع القوى المعادية للأمة، محليا وخارجيا، ومحاربة المشروع الجهادي العالمي كما حصل في أفغانستان والعراق والجزائر وحتى فلسطين. زد على ذلك أن بعضها أصيب بآفة الغرور والتعصب بحيث بات التنظيم بعينه هدفا بحد ذاته والسد الوحيد الذي بدونه ستنهار الأمة وبعضها الآخر لمّا يزل أسيرا لأطروحات قديمة غير مجدية ناهيك عن جماعات أخرى ليس لها من الإسلام أكثر من الطبل والمزمار وإحياء المناسبات.

لكن، هل كان من الممكن أن تنتج سايكس – بيكو غير هذه المشاهد؟ وهل من المعقول أن تتمكن هذه المنتجات من العمل بغير ما تفرضه سايكس – بيكو من أدوات أو ما تتيحه من وسائل؟

لعل منطق الإجابة يشير إلى أنه من المستحيل على من يلجأ إلى إفرازات سايكس – بيكو أن يستعمل تقنيات مغايرة، فمن يرتضي القسم على الدساتير الوضعية مثلا أو يقرر الولوج إلى ساحة الفعل السياسي العلني أو ينشئ جماعة مرخصة لا بد له وأن يعترف أولا بأن لكل منظومة وسائلها وتقنياتها ومدخلاتها، ولا بد له أن يقبل بقواعد اللعبة كما تفرضها خصائص النشأة، وحينها لا تثريب عليه فيما هو ذاهب إليه من سياسات وما يترتب عليه من نتائج، لكن الاحتجاج باجتهادات شرعية أو سياسية لتبرير اختياراته هو ما يثير السلفية الجهادية التي ترى في مثل هذه التوجهات والمواقف ردّة وإرجافا وتخذيلا أو ليّا لعنق النصوص كما يقول أبو يحيى

---

[26] من حقها أن تصدر الجماعة الإسلامية في مصر (24/ 5/ 2007) بيانا بعنوان: "**فتح الإسلام..أم تدمير الأوطان**" تعقب فيه على الوضع في نهر البارد بين جماعة فتح الإسلام والجيش اللبناني، لكن من المدهش حقا أن يبرئ البيان الجيش والدولة لا ليدين فتح الإسلام فقط مقدما إياهم قتلة وقطاع طرق بل ليدين السلاح الفلسطيني في الأردن ولبنان وسوريا وكأن الفلسطينيين بؤر توتر حيثما حلوا وأنهم دائما ما لا يحترمون مضيفيهم! http://www.egyig.com/Public/articles/announce/6/80033469.shtml.

الليبي[27]، كما لا ينفع، في مثل هذه الحالات التي تستدعي موقفا شرعيا صارما، التحصن بتاريخ الجماعة وتضحياتها ولا بالثقة في رجالاتها ولا بالمراهنة على عامل الزمن فيما يثبته من مصداقية وكأنه وقفٌ عليها. ومع ذلك أليست السلفية الجهادية ذاتها قد خرجت من رحم سايكس – بيكو؟ فلماذا تعيب على الآخرين ما هو عيب فيها؟

إنها كذلك بالتأكيد، إلا أن الفارق بين السلفية الجهادية والجماعات الأخرى يكمن في تحكيم الشريعة والالتزام بها فيما يذهب إليه كل منهما في سياساته، وهو المعيار ذاته الذي يتيح للسلفية إعلان حالة الحرب على سايكس – بيكو وكل مخلفاتها بنفس القدر الذي تعلن فيه الحرب على القوى الغربية والمعادية للأمة، في حين تبدو الجماعات الأخرى قانعة بقواعد اللعبة إلى درجة تمكن أقربها للجهاد من نبذ وإدانة الفكر السلفي الجهادي ووصفه بالفكر الخارجي والغريب عن الأمة، بل وإنكار وجوده عبر التقليل من شأنه على مستوى الأمة أو إحالته إلى قوى استخبارية أمريكية وصهيونية[28] باعتبارها بلد المنشأ. والطريف أن مثل هذه التوصيفات ذات المنحى التكفيري والتي تُرمى بها السلفية من قبل خصومها هي ذاتها التي تُتهم هي بها.

رابعا: العلماء والفقهاء، أي دور؟ وأية وظيفة؟

يرى المفكر المغربي عبدالله العروي أن العلماء والفقهاء ظلوا يمثلون الرأي العام في الحواضر الإسلامية حتى أواخر العهد العثماني، وتحديدا حتى انطلاقة الدفعة الثانية من الإصلاحات سنة 1882، ومع أنهم استبشروا خيرا في توجهات الدولة العثمانية الجديدة إلا أنهم فوجئوا باستبعادهم وتهميشهم عن إبداء آرائهم في الإصلاحات أو الشأن العام واستبدالهم بالخبراء والمستشارين الأوروبيين فما كان منهم إلا الانزواء منذ ذلك الحين[29] فلا هم دافعوا عن حقوقهم واختصاصاتهم ولا هم لملموا شتاتهم، وها هم اليوم مفككين وعاجزين عن التقرير بأي شأن عام صغر أو كبر، بل إنهم وقعوا فريسة الاحتواء والتدجين وبعضهم تسابق على التحالف مع السلطة وشرعنة سياساتها علّه يحظى ببعض الامتيازات والحضور وبعضهم استحدث له جماعة أو فرقة وبعضهم تمرد على واقعه وواقع الأمة فاختار طريق الجهاد وقضى فيه قتلا أو أسرا أو مطاردا.

مع تقدم الوقت وانهيار الإمبراطورية العثمانية ودار الخلافة ومجيء القوى الاستعمارية الغربية وانتصاب الدولة الوطنية صرنا نلحظ تجذرا لجماعات إسلامية وفرق مختلفة ومتنوعة بعضها منحرف كالقاديانية والبهائية، وأخرى صوفية كل ما لديها من الدين الدروشة والترانيم والموشحات، وجماعات دعوية عادت السياسة

---

[27] شريط أبي يحيى الليبي: "**توحيد آل سعود وتوحيد الحق**"، مصدر سابق.

[28] مهدي عاكف، منتدى حوار موقع الـ BBC " **مرشد جماعة الإخوان المسلمين مهدي عاكف يرد على أسئلتكم** "، شباط / فبراير 2007. وردا على سؤال لأحد الزوار: "**ما هو موقف جماعة الإخوان المسلمين من تنظيم القاعدة و هل هو موجود حقا؟**"، فأجابه المرشد العام بما يلي: "**أنا شخصيا لا اعتقد أن هناك "تنظيم القاعدة"، إنما هو فكر منحرف يسري بين شباب الأمة بتحريض من العدو الصهيوني والأمريكي وتصرفاته ضد العرب والمسلمين. كما أن هذا الفكر ظهر نتيجة التصرفات التي يقوم بها هذا العدو ضد العرب والمسلمين. ليس غريبا أن تروج أمريكا والصهاينة هذا الفكر لأن كليهما لا يريدان لأحد أن يسمع عن الإسلام الصحيح والمعتدل أكثر من سماعه عن الإسلام الدموي. بل أن الإسلام الصحيح يحارب في مصر ومعظم الدول العربية والإسلامية**". http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/talking_point/newsid_6370000/6370217.stm.

[29] عبد الله العروي، **مفهوم الدولة**،

واكتفت بالوعظ والإرشاد، وجماعات الإسلام السياسي كالإخوان المسلمين وحزب التحرير، والجماعات الجهادية كتلك التي قادها الشيخ عمر المختار في ليبيا والشيخ عز الدين القسام في فلسطين. وبطبيعة الحال فإن بعض هذه الجماعات خاصة الجهادية منها اندثر لسبب أو لآخر، وبقيت جماعات أخرى تضخمت وخرجت من حدودها نحو العالمية كالإخوان والتبليغ والدعوة والصوفية والتحرير، وعلى خلفية النشأة والاستمرارية، وقعت اصطفافات للعلماء والأتباع داخل هذه الجماعات التي شهدت صراعات داخلية على خلفية سياساتها وأيديولوجياتها أو بسبب صراعاتها مع الدولة الوطنية كان من نتائجها ظهور انشقاقات قوية تبلورت في صيغة:

- تيارات جهادية وطنية خاصة في مصر والجزائر وفلسطين وسوريا.
- تيارات عالمية كالقاعدة في أفغانستان والعراق ومجاهدي الشيشان وكشمير والفلبين وغيرها؛
- تيارات سلمية معارضة للدولة والحاكم تميزت بتاريخ جهادي أو قربها من الجهاد والمجاهدين إلا أنها تراجعت وباتت أقرب ما تكون إلى جمعيات ذات طابع إغاثي واستثماري كالإخوان في مصر والسرورية في السعودية؛
- تيارات إخوانية المنشأ والانتماء تحالفت مع السلطة حيث تكون كما هو الحال في أفغانستان والجزائر والعراق، وبقطع النظر عن هوية السلطة أو القوة ما إذا كانت محلية أو أجنبية غازية؛
- تيارات حليفة للدولة حملت أسماء رموزها كالمدخلية والجامية؛
- وتيارات ارتدت عن أهدافها ونشأتها ونبذت تاريخها وعقدت صلحا مع الدولة؛
- تيارات توصف عقائدها من قبل السلفية الجهادية بالإرجائية وتنسحب على الأفراد والجماعات من غير الجماعات الجهادية.[لا ، ليس دقيقا هذا ، بل الإرجاء والمرجئة لهم "حد" أي تعريف واضح، وهم الذين يعتقدون اعتقاد المرجئة الأوائل على طبقاتهم ودرجاتهم، والقاسم المشترك الأغلب هو : إخراج العمل من مسمى الإيمان أي من حد الإيمان.. بمعنى القول بأن الإيمان هو الاعتقاد فقط، أو الاعتقاد مع القول باللسان فقط، أو المعرفة فقط، هذه درجاتهم وكلهم كما ترى يخرجون العمل من الإيمان.. وإذن فليس ما عدا الجماعات الجهادية مرجئة، ينبغي تصحيح هذا]

ولا ريب أن العمل الإسلامي وفقا لصيغ التيارات المعروضة معقد خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار وجود تيارات إسلامية أخرى ذات طابع علماني! وأخرى تعلن تمسكها بالعلمانية كما هو الحال في تركيا وثالثة تروج لما تسميه بالإسلام الليبرالي، وبالتأكيد فالأمر يزداد تعقيدا ويصبح عصيا على الفهم كلما توالت التصريحات والبيانات الصادرة عن التيارات والجماعات والعلماء والفقهاء وهي محملة بالتناقضات والفتاوى المثيرة إلى الدرجة التي يستحيل معها التصنيف والمراقبة وحتى الفهم.

ففي أي سياق شرعي نضع عالم يفتي بحق فرنسا بحظر الحجاب؟ أو عالم يبيح إمامة المرأة؟ أو عالم يدافع عن الأمريكيين وجرائمهم؟ أو يفتي بوجوب قتال المسلم الأمريكي المسلمين مع قوات بلده أمريكا!! وعالم يفتي بعدم جواز الدعاء على اليهود لأنهم أهل كتاب!؟ ويحرم الجهاد ويكفر المجاهدين لأنهم يقاتلون في سبيل الطاغوت حسب قوله!؟ وعالم يطالب قادة المجاهدين ورموزهم بالخروج من سراديبهم وهو يعلم ما ينتظرهم؟ وعالم يدعو لدولة علمانية في فلسطين تجمع اليهود والنصارى والمسلمين ثم يتراجع ويقول دولة مدنية!؟ وثاني يجيز الصلح المطلق مع اليهود؟ وثالث يعتبر العمليات الاستشهادية في فلسطين انتحارا؟ [هذه الأحسن حذفها، لأنها مسألة اجتهادية شأنها يسير] ورابع يتنكر لوجود جماعة جهادية

من الأساس ويصف فكرها بالمنحرف وصنيعة الأمريكيين واليهود وفي نفس الـوقت يبيح تناول المشروبات الروحية في الفنادق!؟ وعالم يفـتي بجـواز إرضـاع الموظفـة لزميلها في العمل لتجاوز الخلوة؟ وعالم يعطي الحق للمسـلم بالارتـداد عـن دينـه؟ ويرى بالصحابة أشاعرة!؟ ويقول إن عمر بن الخطـاب أحـول بطـول ثلاثـة أمتـار؟! وعلماء يتساءلون عمـن أجـاز للقاعـدة الجهـاد باسـم الأمـة؟ وعلمـاء يؤيـدون هـذه الجماعة ضد تلك؟ وعلماء يهاجمون علماء ويجردونهم من علمهـم لاختلافهـم معهـم في الرأي والتـوجه؟ وعلمـاء يبـترون الآيـات القرآنيـة والأحـاديث فـي أسـانيدهم أو يقطعونها من سياقها؟ وعلماء يجهدون في تشويه الجهاد والمجاهدين ويفتون بعـدم مشروعيته ولكنهم لا يبينون مرة واحدة متى يكون الجهاد فرض عين؟

كل هذا "**العجب**" بعرف السلفية هو ضلال مبين وتضليل وظلم للأمة وانحراف خطير في العقيدة، وعلى حد قول أبي يحيى الليبي في رده على مفتي السعودية لو صمت هؤلاء عن قول الحق لكان "**خيرا لهـم ولنـا إذ أن للحـق أهلا ه**"، ولكنهـم اصطفوا يدافعون عن الباطل ويشرعون له ويروجون له[30] ويهاجمون الجهـاد وأهلـه، لذا فهي تستخدم توصيفات صارمة بحق أمثال هؤلاء العلماء والوعاظ والدعاة الذين تعتبرهم ممن حجبوا قول الحق الذي أودعه الله فيهم وحرفوا وبـدلوا فـي ديـن اللـه وتسببوا في هزيمة الأمة وقهرها وهربوا من الفصل في النوازل والقضايا المطروحة إلى العموميات[31] عبر تمييع الحكم الشرعي القابل للبناء عليه، وبالتالي فلا هـم إلـى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ولو اعتدلوا لتغيرت موازين القوى ومالت الكفة لصالح الإسـلام والمسلمين، ولأنهم لم يفعلـوا فلا بـد مـن قـول كلمـة الحـق فيهـم والتخلـص منهـم باعتبارهم "**علماء سوء**" أو "**تجار دين**"، فمثلهم من يبرر أو يجـادل أو يـدافع عـن ثقافة سايكس – بيكو ومنتجاتهـا، ومثلهـم مـن يسـهل عليـه دعـم سياسـات الدولـة والحاكم وتبني أطروحات الغرب في "**تهذيب**" الإسـلام ونبـذ التطـرف ومحـاربته، ومثلهم من أجـاز غـزو البلاد الإسـلامية وشـرّع لبنـاء قواعـد عسـكرية ضخمة علـى أراضيها ومنعوا أهل البلاد مـن مقاومتهـا وأحـالوا أمـر جهـاد الـدفع إلـى ولـي الأمـر باعتباره الإمام، ومثلهم من يجهد في إصدار فتـاوى القعـود والتشـكيك بالمجاهـدين وصولا إلى وصمهم بالإرهاب والخـوارج ودعـاة الفتنـة. ومثلهـم مـن ينتصـر للـوطن والنظام أكثر مما ينتصر للعقيـدة والأمـة[32]، ومنهـم مـن يـروج لمـا يسـميه بالإسـلام الوسطي[33] المعتدل. ومثلهم مـن وصـل بهـم الأمـر إلـى حـد السـخرية مـن الجهـاد

---

[30] شريط أبي يحيى الليبي: "**توحيد آل سعود وتوحيد الحق**"، مصدر سابق. وكذلك: - أبو مصـعب السـوري (عمـر عبـد الحكيـم): "**قراءة وتعليق علـى رسـائل وبيانـات الشيخ أسامة بن لادن و الدكتور سعد الفقيه إلى الشيخ ابن باز والشـيخ ابـن عثيمين وعلماء بلاد الحرمين**"، سلسلة قضايا الظاهرين على الحق (5)،مركز الغربـاء للدراسات الإسلامية والإعلام، بدون تاريخ.

[31] الهروب إلى العمومات: "**هو فَ نٌّ المشـايخ الـذي يتقنـونه بعـد إتقـانهم ف نَّ الشِّعارات، وإلا فأين هي أبحـاثُ المشـايخ الـتي تـبينُ حكـمَ اللـه فـي الأمـمِ المتحـدةِ وميثاقهـا والشـرعيّةِ الدوليّـةِ ؟ وحكـمَ اللـه فـي نظـامِ الجنسـيّةِ وترسيمِ الحدودِ والوطنية؟ ما حكمُ الله المفصّل في كلِّ هذه الأمورِ وغيرهـا مما تهرّبَ من الحديث عنها المشايخ؟ وكذلك ماذا قال الله في علاجِ مـا ينتـجُ عن هذه الأمور من أحكام ؟**". أبـو بكـر نـاجي، **فتنـة المصـطلحات.. المصـلحة والمفسدة نموذجاً**، **إدارة التوحش**، ص 106.

[32] شريط أبي يحيى الليبي: "**توحيد آل سعود وتوحيد الحق**"، مصدر سابق.

[33] محمد اسعد بيوض التميمي، **الوسطيون المحرفـون لـدين اللـه والحـرب عـى الإسـلام؟؟ والوسـطية فـي القـرآن الكريـم**، 14/6/2007. **موقـع الكـاتب:** http://www.grenc.com/a/mTamimi/show_Myarticle.cfm?id=7432. والطريف في أمـر هـذا المفهـوم أن تعميمه يشبه تعميم مفهوم "**الأصولية**" أو "**التطرف**"، ولكنه أكثر خطـورة، إذ القـول

والمجاهدين ومن كل مقدس ومحرم حتى أن بعضهم سار في ركب فتنة الجهاد والمجاهدين في ساحات مختلفة من الجهاد[34] فامتطوا ظهور الدبابات الأمريكية وشاركوا في الحكومات العميلة وشرّعوا لقواعدهم الفتك بالمجاهدين ومحاربتهم وكشف مخابئهم وإعانة المحتل عليهم، وكل ذلك تحت بند الاجتهاد!

لكن المشكلة الحقيقية ليست في هذه التوصيفات التي تعج بها أدبيات السلفية الجهادية بل فيمن يصنعها، ولعل **من** أبرز من تنبه لإشكالية من هذا النوع كان المنظر السلفي أبا محمد المقدسي الذي خصص مؤلفا ثقيلا رفض فيه النظام التعليمي ومخرجاته برمته، وحمله مسؤولية الفشل والضلال والجهل الذي تعانيه الأمة في دينها[35] ودنياها. إذ أن هذا النظام صمم، ابتداء من المدرسة وحتى الجامعة، ليفرز شرائح واسعة من العلماء والفقهاء وطلبة العلم ذوي النزعة القطرية ممن يتمتعون بهوى وبمواصفات تميل إلى السكينة [تحذف كلمة السكينة فهي وصفُ مدح وصلاح!! بل الصفة المستحقة هنا هي المسكنة] والدِّعة والراحة ولا تأبه للجهاد والمشقة.

والثابت أن مواقف العلماء والفقهاء تجاه الأحداث الكبرى تختلط وتتناقض رغم تشابهها إلى حد التطابق، وتتأرجح بين التأييد العلني تارة للجهاد والمجاهدين وبين الخضوع لسطوة السلطان تارة أخرى وبين التطوع لعداء سافر أو الانزواء، فمن بين المواقف صدور فتاوى تدعم الجهاد في أفغانستان وتحرض عليه وتدعو للنفير لرد الاحتلال الشيوعي بما في ذلك فتاوى ضد جرائم الشيعة في العراق وما يسمى بالمشروع الصفوي في المنطقة، ولكن ثمة فتاوى أخرى نفّرت من الجهاد في العراق بحجة غياب الإمام والراية، وليس مفهوما كيف يتمتع الشيعي بامتياز العداوة ولا يكون للغازي والمحتل المعاملة بالمثل! ومنهم من أفتى باعتبار القوات الأجنبية مستأمنة في بلاد المسلمين، وآخرون أفتوا بمقاتلتهم إبان حرب الخليج الثانية، وبعضهم أحل العمليات الاستشهادية ورأى آخرون عدم شرعيتها.

لا شك أن مثل هذه الفتاوى تجعل من حسم الموقف مع العلماء مهمة عسيرة على السلفية الجهادية ومريرة، لكن ملاحظة تمايز بينهم على أساس قربهم أو بعدهم عن الجهاد والمجاهدين يمكن أن يسهل المهمة ويضيق الخناق على من يسميهم د. أيمن الظواهري بـ "**علماء السوء**" ويتيح لها الاستفادة من علمهم وتوسيع دائرة العلماء العاملين، فهم ليسوا صنفا واحدا ولا يمكن أن يكونوا كذلك، فثمة:

بالإسلام الوسطي يعني أن إسباغ الشرعية المفاهيمية على مقولات من نوع إسلام متطرف وإسلام ليبيرالي وإسلام عميل، وجعل الإسلام عبارة عن مراتب ودرجات بعضها ملائم وبعضها الآخر مرفوض، فبأية صيغة يكون الدين كله لله؟

[34] من المثير حقا أن تصدر مقالة تعتبر تحالف بعض أجنحة الإخوان المسلمين مع الأمريكيين في أفغانستان والعراق أو مع الأنظمة القمعية في الجزائر مجرد اجتهادات قد تصيب أو تخطئ! راجع، كمثال، مقالة: أسامة البغدادي، "**حرب القاعدة على الإخوان.. العراق أنموذجا**"، مع ملاحظة أن ذات المقالة جرى الترويج لها على نطاق واسع كما لو أنها حظيت بمباركة رسمية.

[35] أبو محمد المقدسي، **إعداد القادة الفوارس بهجر فساد المدارس**، موقع منبر التوحيد والجهاد: http://www.tawhed.ws.

1) صنف جهادي عامل، التحق بساحات الجهاد وعمل بها لسنوات طويلة وما يزال على حاله، ومثل هؤلاء فقدوا كل الدنيا وما فيها وتفرغوا للجهاد في ساحاته وميادينه.
2) صنف جهادي يشرِّع للجهاد والمجاهدين ويدعم أطروحاتهم ويصدع بمواقفه غير آبه بأية عواقب، حتى أن أغلبهم يقبع في السجون أو أنه دفع حياته ثمنا لفتاواه.
3) صنف جهادي يختلف مع السلفية الجهادية وبعض نشاطاتها المسلحة في العالم. وهذا الصنف يدخل في نطاق العلماء المؤيدين للجهاد والمجاهدين إلا أنهم لا يستطيعون الجهر بأطروحاتهم، ومثل هؤلاء ممن رفضوا إدانة القاعدة في العراق خشية انقسام أهل السنة ولعدم وجود أدلة دامغة على الدعاوى المرفوعة ضدهم يشكلون في الواقع صمام الأمان للمشروع الجهادي برمته رغم ملاحظاتهم الكثيرة عليه واختلافهم حتى مع رموز القاعدة.[أعطيتَ هذا الصنف أكثر من حقهم وقدرهم!! فلا يستحقون وصف "صِمام الأمان للمشروع الجهادي" فراجع هذه الفقرة بارك الله فيك، فلو قلت على الأقل : يشكلون مع غيرهم صِمامَ الأمان...إلخ]
4) صنف رسمي متذبذب ولكنه أميل إلى خطاب السلطة ولا يتوانى عن التصريح بما يطلب منه أو القيام بأي عمل يخدم سياسة الدولة وتوجهاتها بحجة طاعة ولي الأمر.
5) صنف معادي بمبادرة ذاتية منه، واشتهر بعدائه للجهاد والمجاهدين وبتمييعه للدين عبر إصداره لفتاوى متطرفة لا أساس لها من الشريعة، وبتخليه شبه التام عن قضايا الإسلام والحرب الشعواء عليه من قبل الغرب واللادينيين، ولم يعد يضيره أن يكون في صف القوة الغاشمة حيث تكون، ولا يضيره التطوع في القول دون أن يطلب منه أحد التدخل، ولا يتورع عن نصرة أعداء الإسلام عبر التقليل من إساءاتهم وتهجماتهم على الإسلام كعقيدة ودين وعلى المسلمين، ومثل هؤلاء تسميهم السلفية الجهادية بـ "**المنافقين**".
6) صنف يوصف بالقصاصين المنبوذين في التاريخ الإسلامي، وهؤلاء قدموا الدين كما لو أنه قصص وحكايات على حساب الحكم الشرعي مبتعدين طواعية عن قضايا الأمة، ومثل هؤلاء جاهروا بعدائهم للجهاد والمجاهدين وسخروا منهم، وهم مَنْ فتحت لهم الأبواب وأجيز لهم التنقل بين أرجاء العالم واستخدموا في إلقاء المحاضرات وعقد الندوات مبشرين بالإسلام الحضاري والمعتدل، بل أن بعضهم منح الجوائز والألقاب.

وفقا لهذه التصنيفات فمن السهل معرفة جبهة المجاهدين والمناصرين من العلماء والفقهاء وجبهة المخالفين والأعداء منهم، على أن السمت الرئيس في العلاقة ما بين العلماء والسلفية الجهادية يبقى مركزا على وجوب الالتزام بثنائية "**العلم للعمل**"[36] لأنه لا قيمة لعلم دون عمل (**= الجهاد والصدع بالحق**)، ولا قيمة لعلم يوظفه حامله لإلحاق الأذى بالأمة، ولا قيمة لعلم الولاء والبراء فيه لسايكس - بيكو.غير أن للعلماء والفقهاء أكثر من نقطة قوة تشكل بالنسبة للسلفية الجهادية نقاط ضعف كبيرة والعكس صحيح، أبرزها:

- **طلبة العلم**[37]

بعض هؤلاء غالبا ما يتسببون بإثارة الخلافات والانقسامات ويشيعون الأحقاد والضغائن إما بسبب ضعف علمهم أو بسبب تعصبهم لمشايخهم وإما لأنهم يتلقون علوما شرعية فيها اجتهادات متنوعة لقضايا حساسة أو حتى بسيطة بحيث يحل

---

[36] أسامة بن لادن، شريط "**العلم للعمل**"، مرجع سابق.
[37] لاحظ مدى تذمر أبو مصعب السوري من موقف طلبة العلم وتعصبهم في أفغانستان.

الاجتهاد بديلا عن النص وسعته، وبديلا عن أية اجتهادات أخرى، وإما لأنهم ممن تأخذهم العزة بالإثم فيتصدرون قبل أن يتأهلوا ويتنمرون[38] بما يعتقدون أنه سلطان العلم.

- **الحصانة**

من البديهي أن يتمتع العالم أو الفقيه بعلم شرعي مرموق، ومن الطبيعي أن يستمد هيبته أو حصانته
من الرصيد العلمي الذي يتمتع به، ولكن الإشكال يكمن في النظر إلى العالم وكأنه يتمتع علاوة على حصانته العلمية بحصانة شرعية تجعله معصوما[39] من الوقوع في الزلل والخطأ، وللمسألة أكثر من مشهد نورد بعضها:

1) مشهد عالم من المفترض أنه موثوق يفتي في نازلة على نحو مخالف لما هو مألوف أو مفاجئ فتكون الردود متوافقة مع الفتوى أو متحفظة بحجة أن العالم لا يرد عليه إلا عالم وهذا موقف منطقي، لكن مقولة " **اتقوا لحوم العلماء فإن لحومهم مسمومة**" حدث فيها مبالغة وتعسف في استعمالها فيما يبدو و باتت كالسيف المسلط على من يعارض الفتوى أو ينتقدها خاصة ممن هم أقل درجة وكأن ما يحق للعلماء، حتى لو كان فيه اعوجاج، لا يحق لغيرهم وإن أصابوا.

2) مشهد عالم راسخ في العلم، وخدم في علمه العقيدة والدين والمسلمين وانتشرت كتبه وفتاواه حتى بلغت أقاصي الأرض وباتت مراجع أساسية كبرى يتدارسها العلماء والطلبة على حد سواء ويرجع لها في الحكم على النوازل، لكن مواقف هذا العالم في قضايا سياسية وشرعية كبرى كالجهاد والحاكمية والقوى الأجنبية وغيرها مما يلتبس على العامة والخاصة إما أنها قريبة من السلطة أو متطابقة معها أو مختلطة، هذا النوع من العلماء ممن ذاع صيتهم بين الأمم غالبا ما يتسببون بانقسام الأمة التي تنتظر القول الفصل على ألسنتهم ثقة بسعة علمهم، ومع ذلك يصعب الطعن بهم دون ثمن باهظ، بل يحظون بالتماس العذر حتى من أتباعهم فيما لو ثبت عليهم من الزلات ما هو عظيم الأثر. وأخطر ما في فتاواهم أنها لا تأخذ بعين الاعتبار عامل الزمن. فمن يجيز الصلح الدائم (التطبيع) مع اليهود مثلا عليه أن يعرف مقدار صمود الفتوى ومدى مطابقتها للشريعة وإلا ففي حال سقوطها فالمشكلة ستكون وبالا على الأمة خاصة وأنها ستغدو سابقة يقاس عليها ولو بعد ألف عام بحجة أن راسخا في العلم أفتى في يوم ما.

3) مشهد عالم حتى لو كان عاملا إلا أن تلامذته يتبعونه فيما يذهب إليه من أقوال وأفعال ومذاهب، ويحيطونه بهالة من القدسية والعظمة. فإذا التحق بالجهاد لحقوا به وإذا قعد قعدوا معه وإذا نكص على عقبيه نكصوا معه وإذا أخطأ التمسوا له من الأعذار ما يفيض عن حاجته ولا يلتمسونه لغيره، أما صعوبة التعامل مع هذه الحالة فتكمن في تلامذته ومريديه الذين يشكلون بالنسبة له، شاء أو أبى، ما يشبه الحصانة بحيث يترصدون كل نقد يصيبه أو نصيحة توجه له. وفي هذه الحالة التي ينتظر من العالم فيها أن يحمي الأمة والدين نراه يحتاج إلى حماية من أتباعه!

4) مشهد عالم لا يعنيه الموقف الشرعي فيبرر التعامل الصريح لجماعته أو حزبه مع العدو أو إعانته بمجرد اجتهاد سياسي قد يصيب وقد يخطئ رغم ما يتسبب فيه مثل هذا الموقف من انقسام في الأمة وتضليل للعامة، والإشكال أن هذا العالم يجر معه القاعدة إذا ما كان في موقع القيادة.

---

[38] الشيخ بكر عبد الله أبو زيد، **حلية طالب العلم**، دراسة من 48 صفحة، ص 42، http://saaid.net/Warathah/bkar/index.htm.

[39] أسامة بن لادن، **شرح حديث كعب بن مالك**، شريط مرئي، مؤسسة السحاب.

وحقيقة فالمشاهد كثيرة في هذا السياق، وغالبا ما تفشل المناقشات والردود ومحاولات بيان الموقف الشرعي في تحقيق أية نتيجة تذكر حتى لو احتمت السلفية الجهادية بنصيحة الإمامين أحمد بن حنبل وابـن المبـارك[40] أو احتجـت بعقيـدة الـولاء والبراء أو بمقولات من نوع: "**الحق يعرف بالحجة ولا يعرف بالرجال**" أو "**كل قول يؤخذ منه ويرد إلا قول رسول الله** صلى الله عليه وسلم" ، فالخلاف قد يطال أهل الثغـور أنفسـهم مثلمـا يطـال الحـق نفسـه دون أن تسـلم عقيـدة الـولاء والبراء من الاجتهاد وحتى الطعن.

لكن نقطة القوة لدى السلفية الجهادية تكمن في دعوتها المفتوحة والمستمرة للعلماء للالتحاق بساحات الجهاد بدلا من إصدار الفتاوى التي تطعن في الجهـاد عـن بعد. وحجة السلفية أن الرسول صـلى اللـه عليـه وسـلم كـان فـي مقدمـة الجيـش الإسلامي فـي غزواتـه وفتوحـاته ولـم يكـن متخلفـا فـي يـوم مـا، كمـا أن الصـحابة والعلماء من بعدهم كانوا على الدوام في صفوف الجيش. إذ هو واجـب شـرعي أولا على كل المسلمين علماء وعامة، فضلا عن أن ساحات الجهاد لا تخلـوا مـن أخطـاء، والمجاهدون كغيرهم من البشر ليسوا معصومين فيمكن أن يصيبوا أو يخطئوا، وبدلا من التجرؤ عليهم كان من الأولى بالعلماء ألا يفارقوا الجهاد والمجاهدين، وأن يكونوا عونا لهم لا عليهم، وحينها يمكن محاصرة الفتن ووأدها في مهـدها عـبر بيـان الحكـم الشرعي بناء على الظروف والواقع وليس عبر الاستماع من هنا وهنـاك ومـا يـترتب على ذلك من قصور في الصورة وربما تجني من طرف على آخر[41]. غير أن مثل هذه الدعوات[42] لم تلق آذانا صاغية بالشكل المرجو الوصـول إليـه حـتى الآن، وبعـض مـا تلقّاه رموز السلفية الجهادية دعوة تطالبهم بـ "**الخروج من سراديبهم لمباهلـة العلماء**"![43].

---

[40] أَثر عن الإمام أحمد بن حنبل وعبد الله بن المبارك، كما ورد في الفتاوى 28 / 442 لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، قولهما: "**إذا اختلف الناس في شيء فانظروا مـاذا عليه أهل الثغـور فـإن الحـق معهـم**" لأن اللـه يقـول: **}وَالَّـذِينَ جَاهَـدُوا فِينَـا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا{** (**العنكبوت 69**).

[41] عابد بن عبدالله البغدادي (أبو حارثة)، **المجاهدون في العراق والشرك المميت**، الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية، الإصدار الأول: سلسـلة ......نصـيحة الجهـاد إلـى مـن نحسبهم خير العباد – صفر 1428. وفيه "**دعوة إلى علمائنـا ومشـايخنا بـأن يأخـذوا الحذر في سـماعهم لأخبـار الجهـاد والمجاهـدين فـي العـراق ، فالمنـافقون وأصحاب الحظوظ والأهواء لا يجدون صعوبة في الوصول إليكم ، وإسـماعكم أخبارا كاذبة عن المجاهدين وخلافاتهم ، كذبا تـارة وتهـويلا تـارة أخـرى بغيـة إبعادكم عن دوركم في نصرة المجاهدين هناك أو دفعكم للوقوف إلى جــانب فصيل ضد آخر ، فالحصول على المعلومات الصـحيحة عـن مجريـات الأحـداث هناك ليس صعبا إذا توخيتم اختيار الأشخاص الثقات مـن الـذين ينقلـون لكـم الأخبار بأمانة وصدق وإخلاص**".

[42] أبو حمزة المهاجر، شريط مرئي مـوجه إلـى علمـاء الأمـة يـدعوهم فيـه إلـى الالتحـاق بساحات الجهاد وعدم التخلي عن المجاهدين. وكـذا تأكيـد الـدعوة مـؤخرا مـن الشـيخ أبـو الليث الليبي في مقابلته المرئية مع مؤسسة السحاب، 27/4/2007 الموافـق ربيـع الآخـر 1428هـ.

[43] "**وجه الدكتور يوسف القرضاوي دعوة لشباب ومجاهدي تنظيـم القاعـدة بـالخروج مـن سـراديبهم ليتنـاقش معهـم ومنـاظرتهم، ودعـاهم لمجالسـة العلماء ومخالطة الناس. ووصف مجاهدي القاعـدة بـأنهم "شـبابا مفتـونين" ودعاهم،** (من على قناة الجزيرة) **- تعليقا له علـى تفجيـرات الجزائـر أن يثوبـوا إلى رشدهم، ويراجعوا فهمهم المغلوط، ويخرجوا من سـراديبهم المظلمـة، ويجالسـوا العلمـاء ويناقشـوهم، ويـدَعوا فكـر الخـوارج الـذي اسـتباح دمـاء**

المحور الثاني: صناعة القيادة

خصصت أمريكا عشرات الملايين من الدولارات للقبض على خصومها من السلفية، فكان نصيب بن لادن والظواهري 25 مليون دولار لكل منهما ثم 50 مليون لبن لادن والزرقاوي 25 مليون والسوري 5 مليون ... ولا شك أن المكافئات تتوالى بسخاء لمن يدلي بأية معلومات تؤدي إلى اعتقال أو قتل قادة القاعدة. فالولايات المتحدة تعتقد كما غيرها أن تصفية الرموز يمكن أن يؤدي إلى انهيار التيار الجهادي وربما اندثاره أو على الأقل تخريب مخططاته لسنوات طويلة وضربه في الصميم. ولكن لأننا نعتبر أن الظاهرة غير مألوفة فمن الطبيعي أن تكون سبل المواجهة التقليدية معها غير مألوفة وإلا فهي أقرب إلى الفشل من أي نجاح محتمل. أما لماذا؟ فلأن هذا هو بيت القصيد.

ففي حين كَلّ رموز القاعدة ومنظروها من الحديث عن القيادة إلا أن البحث العلمي في المسألة ظل راكدا على نحو مريب، ولعل في المسألة ما يبرر العزوف عن التصدي لها، ذلك أن في الأمر صعوبات وتعقيدات غير مألوفة. فلمن يتوجه البحث؟ وفيمن يبحث؟ وأية آليات يمكن سلوكها؟ وعن أي نمط من القيادات يمكن أن نفتش؟ وكل ما لدينا جماعة تقول أن منهجها هو الشريعة؟ أليست الشريعة هي منهج الجماعات الإسلامية كافة؟ فما هو الجديد إذن؟ وأين التميز في الأطروحة السلفية؟

إذا اعتبرنا الأطروحات الواردة في المحور الأول من المسلمات، وهي كذلك بما أنها تنطق بلغة السلفية الجهادية وجوهرها، فالجديد والتميز يكمن في مسألة الراية من جهة وفيمن يرفعها من جهة أخرى، وهما وجهان لعملة واحدة. **والسؤال هو: أي نوع من الرايات أو القيادات ستحمل تميزا عما سبقها؟ وبأي محتوى وشروط؟**

أولا: الراية، للأمة؟ أم للجماعة؟

منذ مائتي عام أو أكثر فقدت الأمة رايتها فخسرت ما لم تخسره أمة من الأمم في تاريخها، خسرت

وحدتها وهويتها وخلافتها وبعض أوطانها وثرواتها وكرامتها وصارت مرتعا خصبا للقوى الصائلة، فما من دولة قادرة على حماية نفسها وما من نظام سياسي بمنأى عن التهديد أو الإطاحة به وما من جيش صمد في معركة صغيرة أو كبيرة وما من أمن يخيم عليها، فالكل مستهدف والكل ضعيف حتى الفرد بات مكشوف الظهر في بلاده وخارجها.

لو استطلعنا بعض دول العالم لوجدنا في فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وألمانيا وهولندا وأمريكا والمكسيك والبرازيل والصين وغيرها من البلدان راية واحدة حتى لو كان في كل منها ألف حزب، فالانجليزي إنجليزي والفرنسي فرنسي والإيطالي

المسلمين"، وفي الواقع فقد أثارت الدعوة استهجانا وردود فعل سلبية بالنظر إلى لا معقولية الدعوة لدرجة أن أحد الكتاب وجه دعوى للقرضاوي، لا تخلو من سخرية، قائلا له: "دعوة للدكتور القرضاوي: أخرج من قصورك لمناقشة القاعدة في سراديبهم"، راجع مقالة الكاتب: عبد الإله حيدر الشائع على مدونته:
.http://abdulela.maktoobblog.com/?post=320475

إيطالي أما العربي فيمكن أن يكون مصريا وسعوديا وفلسطينيا وتونسيا ويمنيا وسوريا وعراقيا، وهذا الأخير يمكن أن يكون شيعيا وسنيا ونصرانيا ومسلما وأرمنيا وعربيا وكرديا وابن الرافدين وجنوبيا وشماليا وبعثيا ووطنيا وإسلاميا وعلمانيا ومعارضا ومواليا وقس على ذلك بقية البلدان. فكم من الرايات لدينا؟ وكم من الرايات والّيْنا؟ وكم من القيادات ولّدنا؟

ولما نجتمع على عدو، ونحن في رحاب سايكس – بيكو، فلنتصور كم من الأيديولوجيات والرايات لدينا: الماركسية بأنواعها اللينينية والستالينية والماوية والفيتنامية والكوبية، والإسلامية بأنواعها الإخواني والصوفي والدعوي والتحريري والجهادي والسلفي الرسمي، والوطنية بأنواعها الثورية والسلمية والشعبية والشخصيات الوطنية! والقومية بأنواعها الرجعية والتقدمية والاجتماعية والجماهيرية، والرسمية بمؤسساتها من رأس الدولة مرورا بالجامعة العربية حتى البرلمانات والنقابات. وعلى الصعيد الدولي نرفع الرايات بحسب الطلب فتارة تكون راية الأمم المتحدة والمجتمع الدولي والشرعية الدولية، وتارة تكون الأصدقاء والشرفاء والأحرار في العالم والمنظمات غير الحكومية، وتارة يكون الاتحاد السوفياتي والصين وحركة عدم الانحياز وحركة التضامن الأفرو آسيوية وهلم جرا.

العجيب أن الرايات الوطنية والأيديولوجيات العلمانية والإلحادية نجحت في مواطن نشأتها بينما فشلت في البلاد العربية. فقد نجحت في أغلب الثورات الآسيوية وفي الصين والهند وروسيا وأوروبا، وفقط في العالم العربي فشلت، ورغم الفشل الذريع والهزائم المنكرة التي يتلقاها العرب والمسلمون على يد القوات الأمريكية والصهيونية وأحلافهما منذ عقود ثمة من يتمسك بعدْ بالرايات القطرية والقومية واليسارية وحتى الإسلام الوطني الذي غدا أقرب ما يكون إلى الأيديولوجيا! وهي في طريقها إلى التعليب، ولم يسأل سائل: لماذا نفشل دائما حيث ينجح الآخرون؟ فلا راية اهتدت إلينا ولا نحن اهتدينا إليها. **ببساطة: من يستطيع جمع الأمة على راية واحدة من هذه الرايات؟ ولماذا لم تجتمع طوال عقود عليها أو على واحدة منها؟ فهل من السنن أن نفشل؟ أم أن الإسلاميين بالذات هم من فشلوا حين خالفوا السنن[44] فيما نجح غيرهم؟**

بالتأكيد ليست الراية عند السلفية الجهادية مجرد قطعة قماش مطرزة بألوان تميزها عن غيرها من الرايات، وليست محض رموز تشحذ الهمم، بل هي مضمون جرى انتزاعه وتمزيقه شر ممزق، وجوهر حضاري تم تفكيكه، ورسالة سماوية جرى تعطيلها وعقيدة مغيبة ودين محارَب وأمة مفتتة كغثاء السيل، وحرمات منتهكة، وعدالة مسلوبة وظلم واقع ... الخ إنها باختصار إشكال وجودي يجعل من الإسلام والمسلمين في مهب الريح والقوى العظمى ما لم يتم تدارك الأمر. ولكن من هو المعني بالراية؟ ومن هو عدوها؟

---

44 يفضل العودة إلى أبي بكر ناجي في تأصيله لقيام الدول وكيف فشلت الجماعات الإسلامية التي يسمها بـ "**جماعات كف الأيدي**" عن الأخذ بالسنن الكونية محتجين بذلك أن الدولة يجب أن تبنى على الطريقة النبوية، ولهذا فقد أضاعوا فرصا كثيرة "**وما زال أهل الإسلام يتناظرون ويتشاجرون حول الطّريقة المثلى لإقامة الدّولة الإسلاميّة ؟!! وكلّ المتناظرين يزعمون أنّ دليلهم فيما يقولون من إقامة الدّولة الإسلاميّة مشتقّ من الطّريقة النّبويّة ... ومازال الكثير من أهل الدين يجمع الناس ليحدّثهم عن الطريقة المُثلى في إسقاط الطواغيت، أو الطريقة المثلى في إحياء دولة الخلافة**". أنظر مقالة: أبو بكر ناجي، "**السنن الكونية بين الأخيار والأغيار**"،**إدارة التوحش**، ص 97.

من الأهمية بمكان ملاحظة أن جماعة ترفع راية التوحيد لا يمكن لها بأي حال من الأحوال أن تقبل بوجود رايات علمانية من أي نوع كانت وإلا فلا مبرر لرفعها أصلا. لذا فالسلفية الجهادية، برفعها راية التوحيد، يعني أنها تحررت من كافة الأطر الحزبية والتنظيمية والمؤسساتية والجغرافية الضيقة[45] وتحصنت في أطر لا تتسع لها السموات والأرض، وبالتالي إذا لم يكن من مجال لحضور سايكس – بيكو ومشتقاتها فلا مجال لتجاهل التوحيد حيث يحضر ويكون. وعليه تجهد السلفية في التركيز على تمييز رايتها باعتبارها راية الأمة لتلغي كل الحدود الجغرافية والجنسيات والملل والنحل مستعيضة عنها بأمة التوحيد أينما كانت وتواجدت. وفي مثل هذه الحال فالراية هي راية المسلم الشيشاني والكشميري والباكستاني والعربي والآسيوي والأمريكي والأوروبي والأفريقي وحتى المسلم المريخي إن وجد، فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

الطريف في مسألة الراية المرفوعة هذه ليس التشكيك بسلامتها إنْ كان بها من اعتراف أصلا من قبل الخصوم. بل بإنكار بعض العلماء لها، ونسبة مجاهديها لمن "**يقاتلون في سبيل الشيطان**"[46]! أو التصريح بأنهم "**عملاء للاستعمار والصهيونية العالمية**"[47]، أو أن "**بن لادن إنسان تافه**"[48]! ولا شك أن مثل هذه الفتاوى والتصريحات تندرج في سياق الخصومة مع السلفية الجهادية أكثر من اندراجها في أية سياقات موضوعية ناهيك عن أية سياقات شرعية أو حتى ذات طابع شرعي[49]. إذ أن مثل هذه التصريحات والفتاوي تعني أن الراية غير موجودة أو على

---

45 لاحظ خطاب الظواهري (**المعادلة الصحيحة**، مصدر سابق) وهو ينتقد الأحزاب العلمانية التي حشرت نفسها في أطر ضيقة بديلا عن العقيدة وكذا بعض القوى الإسلامية التي انضوت في إطار الجماعات والهيئات والمؤسسات الإسلامية فصارت عبئا عليها وكبلتها بقيودها.

46 يصف عبد العزيز آل الشيخ مفتي السعودية فيها المجاهدين في العراق بأنهم ممن قال الله فيهم: **{وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ}** (النساء 76)، ولمن يذهب إلى العراق يخاطبهم بالقول: "**تلقفتكم أيدي الظالمين والمجرمين فجعلوكم دروعا أمامهم ليكون الضرب والقتل عليكم وهم آمنون مطمئنون**" مضيفا: " **أتجاهد مع قوم لا تربطك بهم أي رابطة لا عقديا ولا فكريا ولا سلوكيا**؟". تسجيل صوتي لوقائع خطبة جمعة ألقيت بتاريخ 12 / 6 / 1428 هـ في **جامع الأمير تركي بن عبدالله**، على موقع البث الإسلامي: http://www.liveislam.net/browsearchive.php?sid=&id=38624.

47 تصريحات علي عبدالله صالح **التي وصف فيها بن لادن والظواهري بأنهما "عملاء للاستعمار والصهيونية العالمية وأنا أشك وأستغرب كيف لم تتمكن المخابرات الدولية من القبض على هؤلاء العملاء حتى الآن"، وتأتي هذه التصريحات في أعقاب ما عرف بتفجيرات مأرب في 4/7/2007 بواسطة سيارة مفخخة استهدفت بانفجارها 13 سائحا إسبانيا قتل منهم سبعة واثنين من الأدلاء اليمنيين،** صحف ووكالات.

48 الأمير نايف بن عبد العزيز، **صحيفة الشرق الأوسط السعودية بتاريخ 21 / 9 / 2006 في العدد 10159.**

49 يمكن المقارنة في السياق بفتاوى على النقيض تماما من فتوى عبد العزيز آل الشيخ، ففي 6/11/2004 وجه 26 عالما سعوديا بيان النصرة الشهير لأهل السنة في العراق، وفيه فتاوى تشرع لحق الشعب العراقي في المقاومة واعتباره في حالة جهاد الصائل، ويدعو الأمة إلى نصرتهم إسلام أن لاين http://www.islamonline.net/arabic/news/2004-11/26/article06.shtml . ولقي البيان دعما مماثلا من 26 عالما يمنيا في 26/11/2004. وكذا بيان العلماء الـ 13 بتاريخ **18 نيسان / أفريل 2007** حمل اسم "**نداء للمجاهدين في العراق**" في أعقاب تفجر الخلاف بين دولة العراق الإسلامية والجيش الإسلامي.

الأقل غير صحيحة وبالتالي فلا جهاد جائز ولا مقاومة ممكنة؟ وتعني بقاء التساؤلات المطروحة بلا إجابة من نوع: ما العمل إذن؟ هل يجدي القعود والأمة في حطام؟ وهل يجدي الطعن في الجهاد والمجاهدين وتكفيرهم بينما العدو يصول ويجول في أفغانستان والشيشان وفلسطين والعراق والصومال وقواعده العسكرية رابضة على أجزاء من البلاد ثم يقال هؤلاء موجودون في إطار المعاهدات والاتفاقات الثنائية؟ هل تستطيع دولة أن تمنع الأمريكيين من استخدام أراضيها ومطاراتها في ضرب أية دولة أخرى من المفترض أنها شقيقة أو صديقة؟ هل من العقلانية والمنطق أن يجتهد بعض العلماء في الطعن بالجهاد الحاصل ولا يجتهدون في بيان سلامته؟ أو متى يكون صحيحا ومتعينا؟

على كل حال فرغم أن مرحلة الجهاد الأفغاني الأول أكد على عالمية الإسلام والجهاد والقضايا الإسلامية إلا أن راية السلفية الجهادية لم تكن قد تبلورت بعد بهذا الوضوح الذي نعيشه إلا مع انطلاقة المرحلة الثانية على يد حركة طالبان التي استضافت رموز وقادة القاعدة. وبقطع النظر عن خلفية ما يروجه البعض من الجماعات والكتاب فيما يتعلق بالتوجه الجديد للسلفية الجهادية نحو العالمية فإن الإعلان المدوي عن تشكيل "**الجبهة الإسلامية العالمية لمحاربة اليهود والصليبيين**" سنة **1998** كان له القول الفصل في:

(1) إظهار الراية للأمة خاصة وأن الرايات الأخرى إما أنها تراجعت وإما أنها سقطت؛

(2) إعادة التأكيد على هوية أعداء الأمة ردا على من بات يعتبرهم أصدقاء أو حلفاء أو أمراً واقعاً. وبالتالي تحديد وجهة الراية عبر الجمع بين اليهودية العالمية بما فيها إسرائيل والقوى الغربية الصليبية باعتبارها القوى الصائلة في بلاد المسلمين.

أما خلفيات هذا التحديد فيقع في السياقات التالية حصرا:

- وجوب [تحذف كلمة وجوب] الربط بين المساجد الثلاثة باعتبارهم جزء من العقيدة والدين لا مجرد مباني خاصة. ولأن السلفية تعتبر المساجد الثلاثة منتهكة الحرمات ومدنسة خاصة [لا داعية لها] مع وجود القوات الأجنبية في الجزيرة العربية وموالاة الحكومة المحلية لها، فضلا عن الخطر المحدق في المسجد الأقصى فمن الأولى والأوجب النظر إليها قضية واحدة لا تتجزأ ولا يجوز تجزئتها. ولعل أهمية الربط تكمن فيما تحمله المساجد الثلاثة من رموز دينية وعقدية يمكن للأمة أن تجتمع عليها.
- إن انهيار الخلافة وتقسيم الوطن العربي وتفتيت الأمة واغتصاب فلسطين وضياع العقيدة لم يكن بفعل الصهيونية وحدها بل بفعل تحالف عالمي معادي للأمة برمتها ولدينها وعقيدتها وطامع في ثرواتها ومهدد لمصيرها، وبالتالي فلا يمكن هزيمته إلا بتحالف إسلامي مضاد تشارك فيه كل الأمة وليس بعضها. على أن يتخذ صيغة جهادية لا صيغا سياسية أو إعلامية أو حزبية على شاكلة منظمة المؤتمر الإسلامي أو الجامعة العربية أو الوحدة الوطنية، فما من أحد يتحدث اليوم عما تسميه السلفية بدعوات جاهلية: "**دعوها إنها منتنة**".
- إن نجاح التحالف العالمي باختراق الجدار الإسلامي وتهديده من الداخل هي حوادث استخدمت فيها القوة المسلحة الغاشمة والجبارة، ومقاتلته لا تكون إلا باستنفار الأمة وتجنيدها لمقاتلة العدو الصائل عبر إحياء وتفعيل فريضة الجهاد التي أصبحت فريضة متعينة وليست فريضة كفاية.

لهذه الأسباب وغيرها تبدو الأمة بحاجة إلى راية تجتمع في ظلها بحيث تكون المعادلة أمة مقابل أمة وراية مقابل راية أو فسطاط إيمان مقابل فسطاط كفر

على حد قول أسامة بن لادن[50] أو الظواهري في شريطه "**حقائق الصراع بين الكفر والإيمان**". لكن من الأهمية بمكان ملاحظة التطور المستمر في محتوى الراية لدى السلفية الجهادية، وفي هذا الإطار يمكن رصد أكثر من حدث يؤشر على تضخم مضطرد في "**فسطاط الإيمان**" نثبت منه ما يلي:

1) تنبه الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا في وقت مبكر، وقبل أية جماعة جهادية أخرى، [لا ، ليس هذا بدقيق، هذه مبالغة، وإلا فكل الجماعات والقيادات قبل ومع وبعد الجماعة المقاتلة كانت ومازالت دائما تنادي بهذا المبدأ وتدعو إليه أعني الوحدة وضرورتها الشرعية والواقعية، وخذ على سبيل المثال ما كتبه الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز في كتاب العمد حول حكم تعدد الجماعات الجهادية وهي مسألة مشهورة طالما بُحثت وحصلت فيها نقاشات ودراسات، وهذا الكلام كتبه الشيخ قبل نشوء الجماعةالمقاتلة أصلا] إلى ضرورة الانضواء تحت راية واحدة والحيلولة دون ظهور جماعات جهادية أخرى مستقلة خشية تشتت الجهد وضياع الراية[51]. كما أن الجماعة لم ترغب في الاندماج بالقاعدة في أفغانستان لا لموقف ممانع أو مشكك بل لخشيتها من تجمع المجاهدين في مكان واحد بحيث يسهل توجيه ضربات قاتلة لهم وهو ما أقر بصحته أبو مصعب السوري لاحقا في أعقاب الهجوم الأمريكي والمجزرة التي تعرض لها المجاهدون[52]خاصة في قلعة جاجي.

2) وفي هذا السياق بالذات من وحدانية الراية من الأهمية التوقف عند حالة الجزائر، فالجماعة السلفية للدعوة والقتال لم تندمج في تنظيم القاعدة كما يفهم من وسائل الإعلام أو الكثير من الكتاب، كما أنها لم تبدل اسمها باسم آخر ولو أنها أصدرت إشعارا بتغيير الاسم لاحقا على بيان البيعة[53]، بل أن ما جرى هو إعلان صارخ عن إنشاء قاعدة الجهاد في بلاد المغرب الإسلامي بهدف توحيد الراية في كافة المناطق المغاربية كبديل عن التشتت، لذا لا معنى لاستبدال الاسم خارج الدلالات التي يقع فيها، ولا معنى للاندماج خارج المقاصد التي يرمي إلى توضيحها والسعي لتحقيقها، وهو ما يؤكده بيان البيعة: "**إن ضراوة الحرب، وقساوة الوضع وتكالب الأعداء على المسلمين وتحالفهم عليهم، وشدة بطشهم والتنكيل بهم يتطلب من المسلمين عموما والمجاهدين خصوصا أن يواجهوا التكتلات بالتكتلات, ويتصدوا للأحلاف بالأحلاف, ويقابلوا حشد القوة بحشد القوة ويكسروا الوحدة بالوحدة. فالولايات المتحدة الأمريكية لا يكسر شوكتها إلا الولايات المتحد ة الإسلامية و أمّا التشرذم و التشتت والتفرق**

فإنه لا يهزم عدوا و لا يسترجع حقا و لا يردع ظالما ولا ينصر دينا و لا يرفع راية"[54].

3) من يراقب خطابات رموز السلفية الجهادية سيلاحظ بلا أدنى شك أن القاعدة لم تعد إلا واحدة من أدواتها الضاربة، وعلى هذا فليس صحيحا ما يشاع أن القاعدة تحتكر الجهاد وبالتالي تحتكر الراية. بل أن الجماعات السلفية الجهادية في العراق ليست لها أية علاقة تنظيمية بالقاعدة إلا في إطار دولة العراق الإسلامية وما

---

[50] **قَسَم الشيخ بن لادن** ورد في شريط مرئي (7/10/2001) إثر هجمات سبتمبر 2001 قبيل الهجوم الأمريكي على أفغانستان

[51] أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة ... ، ص 867.

[52] أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة ... ، ص 834.

[53] بيان **الجماعة السّلفيّة للدّعوة و القتال** بعنوان: " **إشعار بتغيير التَسْمِيَة" بتاريخ 24 /1 / 2007.**

[54] نص بيان البيعة على موقع الجماعة بعنوان: "**بيان وبشرى بانضمام ومبايعة الجماعة السلفية للدعوة والقتال**"بتاريخ 13 / 9 / 2006.

تفرضه وحدة الراية وضرورات التنسيق الميداني فيما بينها، والأهم أن السلفية، بهذا المعنى، تكون قد تجاوزت مرحلة الراية التنظيمية نحو راية التوحيد، ومن يعتقد بخلاف ذلك فهو أبعد ما يكون عن فهم خطابات السلفية التي لم يرد على لسان أي من رموزها ولا في نشراتها ما يدعو إلى الالتحاق بالقاعدة، ولنا في ذلك أكثر من مثال:

- دعوة بن لادن والظواهري في أشرطة صوتية ومرئية إلى دعم المحاكم الإسلامية في الصومال والثناء عليها وهي ليست من القاعدة.
- دعوات الظواهري المتكررة لأبناء الجماعات الإسلامية كي يقاتلوا تحت راية التوحيد إذا ما أخلت جماعاتهم بشروط الحاكمية وعقيدة الولاء والبراء وبالأهداف التي وجدت من أجلها، وليس مهما الانخراط في تنظيم القاعدة[55] طالما أن الراية هي راية التوحيد. وهذا يؤشر إلى حد كبير على أن خطابات الظواهري لا تتوجه إلى الجماعات الإسلامية بغرض إدانتها أو استقطابها نحو القاعدة أو التيار السلفي الجهادي بقدر ما هي دعوة أو نصح لتصحيح ما تعتبره انحرافات في عقائدها[56] خاصة وأن هذه الجماعات هي رصيد للحركة الجهادية العالمية وليست عدوا يراد له الهزيمة.
- الجماعات المقاتلة في الشيشان وآسيا الوسطى وكشمير وأندونيسيا والفلبين وفتح الإسلام وجيش الأمة وطالبان كلها تقاتل تحت راية التوحيد دون أن تكون لها أية روابط تنظيمية مع القاعدة، وليس أدل على ذلك من أن العمليات المسلحة لها تنفذ بمبادرة ذاتية منها دون أن تكون للقاعدة أية علاقة بها، وكذا جماعة أبو سياف في الفلبين التي تستنجد بالسلفية الجهادية باعتبارها تحمل نفس الراية وتسعى لتحقيق نفس الأهداف[57].

[يمكن أن يضاف هنا أيضا ما ذكره الشيخ عطية الله في نفس اللقاء مع مركز اليقين أثناء كلامه عن فكرة "خروج المحتل" حين قال (...والمحتل خارج خارجٌ لا محالة، فلتستمرّ الحركة الجهادية إذن في ضربه والإثخان فيه واستنزافه وإهلاكه، مستعينةً بالله تعالى متوكلة عليه، ساعية لأن يكون خروجه حين يخرج هروباً وانهزاماً مدوّياً كما قلنا، وتكون نتيجة خروجه وثمرته آئلة إلى أهل الإسلام أهل التوحيد..! **لا يهم مَن، القاعدة أو غير القاعدة، فلان أو علان، غبيٌّ ومغبون من يحصر الحق أو استحقاق الثمرة الطيبة في أسماء وأناسٍ بأعيانهم..! المهم أن تكون الثمرة والنتيجة لأهل الإسلام ويكون الدين**

---

[55] في شريطه المرئي "**دروس وعبر وأحداث عظام في سنة 1427هـ**"، مصدر سابق، علق الظواهري على وضعية مقاتلي حركة فتح داعيا إياهم إلى العودة الإسلام قائلا: "**أنا لا أدعوهم لِينضموا لحماس ولا لحركة الجهاد ولا للقاعدة ولكني أدعوهم للعودة للإسلام لكي يقاتلوا من أجل إقامة دولة الإسلامية على كل فلسطين وليس من أجل إقامة علمانية ترضى عنها أمريكا على فتات من فلسطين**"، وفيما نعلم أنها المرة الأولى والوحيدة التي خاطب فيها الظواهري مقاتلي فتح مباشرة، والمرة الأولى التي يدعو فيها مسؤول بارز في القاعدة جماعات أو تنظيمات أخرى إلى القتال تحت راية التوحيد ولأهداف إسلامية دون أن يكون هناك ضرورة للالتحاق بالقاعدة.

[56] د. أيمن الظواهري، **نصيحة مشفق**، شريط مرئي، مؤسسة السحاب، 5/7/2007.

[57] تقرير عن الحركة الإسلامية في جنوب الفلبين بعنوان: "**أسود الفلبين: إنهم قادمون**"، مركز مورو الإعلامي، 15/8/2007ـ لعله الشريط المرئي الأول الذي يعرف بجماعة أبي سياف، وأطرف ما فيه أنه يطالب بأن يعامل المجاهدون في الفلبين، من حيث الدعم المطلوب، أسوة بالمجاهدين في أفغانستان وغيرها باعتبارهم يتبنون نفس المنهج ويرفعون نفس الأهداف.

كله لله ، هذا هو المهم وهو الهدف والغاية التي نحن مأمورن بالجهاد حتى تتحقق وحتى نصل إليها، ومادام الدينُ بعضُه لله وبعضه لغير الله فإن القتال واجبٌ حتى يكون الدين كله لله.]

- رغم الاتصالات بين القاعدة وأبي مصعب الزرقاوي فلم تكن جماعة التوحيد والجهاد التي تأسست في وقت مبكر من احتلال العراق على صلة بتنظيم القاعدة، حتى أن بعض المراجع تشير إلى خلافات بين الزرقاوي وبن لادن نفسه لما كان الأول في أفغانستان فيما يتصل بالموقف من التحالف مع طالبان. [كان هذا في بادئ الأمر قبل تبيّن أبي مصعب جيدا لحال طالبان، وهذا كان موقف الكثيرين جدا، الجماعة المقاتلة الليبية وغيرها كانوا إلى حدود بداية سنة ألفين، مازالوا متحفظين على طالبان وتركيبتهم وعلاقاتهم ومنهجهم، ولم يعرفوهم جيدا بعد، ثم بالتدريج بدأ الجميع يميل إلى طالبان وينصرهم بعد التعرف عليهم جيدا والتوثق منهم وبعد ظهور مواقف طالبان الطيبة، وكان من أوائل مَن دعوا إلى دعم طالبان والوقوف معهم القاعدة وأبو مصعب السوري، وأما الباقون من الجماعات فتأخرت كثيرا أو قليلا ، وشرح هذا بالتفاصيل يطول بعض الشيء، ولذلك فالمرجو تغيير العبارة السابقة حتى لا توحي بشيء مزيّف غير دقيق]

وبعد ذلك جرى الإعلان عن تشكيل مجلس شورى المجاهدين قبل أن يعلن الزرقاوي عن مبايعته لبن لادن بتاريخ 8/1/2004 [إذا كان المقصود مجلس شورى المجاهدين الذي تكون في الفلوجة لإدارة معركة الفلوجة الأولى فلا أدري هذا ممكن يكون صحيحا ، ويراجَع التاريخ، لكن إذا كان المقصود هو "مجلس شورى المجاهدين" الذي ضمّ تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين وعدة جماعات أخرى صغيرة وبعده جاء حلف المطيبين ثم إعلان الدولة ، فالكلام المذكور خطأ وتناقض واضح فليصحح] وما تبعها من شريط للشيخ أسامة يثني عليه ويعلن تعيينه أميرا لـ "**قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين**"[58]. بل أن الأمر تطور ليصل إلى مرحلة حلف المطيبين ثم إعلان دولة العراق الإسلامية التي أصبحت تضم جماعات مجلس الشوري ومن بينها تنظيم القاعدة الذي اختفى ذكره في العراق لصالح دولة العراق الإسلامية التي تضم الآن العديد من الجماعات والتنظيمات السلفية الصغيرة منها والكبيرة.

إلى هنا يمكن القول أنه بالإمكان الاختلاف مع السلفية الجهادية تحت سقف التوحيد، وهو اختلاف طبيعي بما أنه يعبر عن وجهات نظر واجتهادات شهدت عليها متون أبي مصعب السوري خاصة خلال المرحلة الثانية من الجهاد الأفغاني رغم ما أحدثته من أضرار، لكن ما هو موضع حظر مطلق عندها هو الاختلاف على التوحيد ذاته بوصفه تعبيرا عن الراية ومقصد المقاصد. فهنا تقف السلفية موقفا حازما، أيا

---

58 أسامة بن لادن، (**تعيين الزرقاوي أميرا لقاعدة الجهاد في بلاد الرافدين**)، شريط مرئي، مؤسسة السحاب، تشرين أول/أكتوبر 2004.

تكن تداعياته، من كافة القوى والجماعات فيما يتعلق بقيادتها للراية[59] بوصفها راية الأمة وراية الجهاد العالمي التي لا يمكن التفريط بها أو وضعها بأيد غير أمينة.

ففي مقابلته مع مركز اليقين الذي أنشئ حديثا يقول الشيخ عطية الله: "**أن الحركة الجهادية العالمية والناصعة المنهج، التي أعبّر عنها كثيرا بـ "حركة الجهاد والتوحيد والسنة" ويعبّرون عنها بالحركة السلفية الجهادية،** (هي) **الحركة الجهادية المحققة للولاء والبراء، و**(هي) **التي يمكن ائتمانها فعلا على راية الجهادِ"**[60]، أما، وبحسب سؤال مركز اليقين[61]، "**ما هي الأيدي غير الأمينة هذه؟**" فيستشهد الشيخ الليبي بأقوال أبي عمر البغدادي في أحد خطاباته[62]: "**أمة الإسلام، لقد عزمنا ألا نكرر المأساة وأن لا تضيع الثمرة، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**"، لكن يبدو أنه آن الأوان للشيخ عطية الله كي يفصل ما كان البغدادي قد أشار إليه ضمنا ويضع فيه النقاط على الحروف بلا تحرج:

- إنهم: " **أناسٌ يريدون أن يقودوا الجهاد والحركة الجهادية، وأن يمسكوا بزمام الأمور وتكون بأيديهم الراية، لكن ليس عندهم المؤهلات لذلك، ونحن نعرف ذلك، والحركة الجهادية تعرف ذلك جيدا ... ؛**
- **أناس من داخل إطار ما يسمى المقاومة أو حتى إن سمّي جهاداً، طارؤون وجُدد على الجهاد وعلى طريق الجهاد، وعلى فقه الجهاد وعلى منهج الجهاد يفتقدون إلى الرسوخ، ومتقلبون، ولم يوضعوا على المحك الحقيقي ولم تنجبهم الأيام الصِعاب، بل أنجبتهم ظروف وأحوال أشبه ما تكون بـ "الاتفاقية" ... وُجِدوا فيها ووجدوا أنفسهم فيها قيادات، هؤلاء كيف يمكن للحركة الجهادية أن تأتمنهم على الراية!؟**

---

[59] ليس فقط الشيخ عطية الله بل هجمة د. أيمن الظواهري في أحد خطاباته والذي رد فيه بشدة على ما اعتبرهم "فقهاء التسول" ممن يزعمون، بحسب رأيه، حقهم في قيادة الأمة، فنراه يقول: "**كيف يمكن أن يقود جهاد الأمة من يبيح لحكام مصر قتل المجاهدين والصلح مع إسرائيل؟ ومن يبيح للمسلمين القتال في الجيش الأمريكي ضد إخوانهم في أفغانستان؟ أو من يفتي المسلمات في فرنسا بوجوب خلع حجابهن طاعةً لحكومتها العلمانية المحاربة للإسلام؟ أو من يفتي المسلمين في بريطانيا بوجوب طاعة إليزابيث رئيسة كنيسة انجلترا؟ كل هؤلاء وأمثالهم لا يمكن أن يرتفعوا لمرتبة القيادة، لأنهم سقطوا في حضيض التسول". فـ "أي دين هذا؟ أي خلق هذا؟ أي شرف هذا؟ بل أي سقوط هذا؟**"، للتحقق يفضل العودة إلى شريطه المرئي: "**حقائق الصراع بين الكفر والإيمان**"، **23/12/2006**.

[60] الشيخ عطية الله، لقاء مع مركز اليقين، مصدر سابق.

[61] سؤال مركز اليقين هو: "**هل تتصور أن هذا التعارض أو الاختلاف في خطط ومناهج الجماعات المختلفة لانتشال العالم الإسلامي من وضعه الحالي قد يدفع إخوة الأمس للتصادم من أجل الإمساك بزمام القيادة وفرض كل لرؤيته ومخططه؟**"، مصدر سابق.

[62] أبو عمر البغدادي (أمير دولة العراق الإسلامية)، "**حصاد السنين بدولة الموحدين**"، شريط صوتي، مؤسسة الفرقان، 17/4/2007.

- **أناس من خارج المنظومة الجهادية أصلا (خارج عن كل ما يسمى جهاد وحتى مقاومة) ويريدون أيضا أن يقودوا الأمة ويقودوا الحركة الجهادية عن بُعدٍ ويفرضوا أنفسهم كقيادة لا يمكن تجاوزها؛**

وبأكثر صراحةً ووضوحاً:

(1) لن تقبل الحركة الجهادية اليوم بعد هذا الوعي والنضج وهذه التجارب وهذه المعاناة، أن تسلّم القيادة للإخوان المسلمين أو مَن قاربهم وشابههم، هذا واضح، وأرجو أن تكون عبارتي واضحة لا تحتاج إلى كبير شرح وتحرير.! و (2) لن تقبل الحركة الجهادية أن تسلم القيادة لأناس أخلاط من الفكر الإخواني والبعثي والوطني والقومي وغيره، لم يُمحّصوا جيدا، ولم يحصل الوثوق بهم جيداً ... بل سقط بعضهم في امتحانات شهرية ونصفية..! و (3) لن تقبل الحركة الجهادية أن تسلم الراية لأناس يعيشون متنقلين بين أفخم الفنادق في دول الردّة مرضيّاً عنهم من حكومات تلك الدول، يعقدون المؤتمرات علنا عندهم، ويشاركون في اللقاءات والاجتماعات الطاغوتية ويُعانقون الطواغيت وأئمة المرتدين بالأحضان، ويقبّلونهم ويبشون في وجوههم بشاشة الأخ الودود، ويظهرون لهم المودة، ويُثنون عليهم وعلى جهودهم ويرجون فيهم الخيرَ، ويستنجدون بهم ويرونهم جزءاً من الحل، ويعتبرونهم إخوة...!"

ثانيا: القيادة، مواصفات وشروط

لعل السلفية الجهادية يمكن أن تنجح أو تفشل في تحشيد الأمة من حولها، لكن القول بأنه يمكن القضاء عليها عبر القضاء على رموزها قتلا أو اعتقالا فهي مسألة أبعد ما تكون عن الحقيقة. فالأمة مقبلة على نمط جديد من التفكير والعمل غير مسبوق ولا مألوف، والثابت أن السلفية تجاوزت مرحلة التصفية أو الإبادة، ولو كان لمثل هذا الأمر أن يجدي لنجحت الولايات المتحدة فيه منذ غزت أفغانستان وأعملت قتلا في قيادات السلفية وكوادرها وعناصرها من شتى أنحاء العالم سواء كانوا من القاعدة أو من طالبان أو من أية جماعة أخرى تواجدت على الساحة الأفغانية أو الباكستانية. ونكاد نجزم أنه لو تعرضت دولة أو جماعة أو حزب لما تعرضت له السلفية الجهادية في أفغانستان أو الشيشان على يد الروس وتتعرض له في العراق لما بقي لها أثرا يذكر. وعلى العكس من ذلك أعادت طالبان بناء قوتها ولملمة شتاتها وها هي تخوض حربا ضروسا ضد قوات حلف الأطلسي في أفغانستان، أما القاعدة فقد

نجحت في فتح جبهات أخرى ودعمت قوى سلفية ضاربة في عدة بلدان إسلامية وظهرت دولة العراق الإسلامية ونشطت معها القوى السلفية الأخرى من أنصار السنة وجيش الراشدين وأبي بكر الصديق حتى عصائب العراق فضلا عن الكتائب السلفية الأخرى، واختفى رمز الجهاد العالمي ليزيد الطين بلة فاستقال مايكل شوير رئيس وحدة مطاردة بن لادن بعد أن فشل في القبض عليه أو تصفيته، وأقر أحدث التقارير الاستخبارية السرية للولايات المتحدة نقلا عن مجلة النيوزويك الأمريكية بأن القاعدة تضخمت وأنها غدت أقوى من أي وقت مضى منذ هجمات 11 سبتمبر 2001، وأنه من المستحيل القضاء عليها دون تعاون الحلفاء[63]! ترى ما هو السر في قوة السلفية الجهادية وقياداتها؟

[63] صحف ووكالات 13 / 7 / 2007.

بالإضافة إلى وضوح خطاباتها فما من تميز للسلفية بأقوى من قدرتها على صنع القيادات وإنتاجها. فهي عملية معقدة لا يبلغها إلا من بلغها بشروط لا يمكن تجاوزها أو التهاون بها. بمعنى أن القائد لا تصنعه التعليمات ولا سنوات الخدمة ولا الترقيات المألوفة، فماذا تكون إذن؟

II. العلم الشرعي

لما يردد بن لادن القول: "**لسنا جامدين ... سندور حيث تدور العقيدة**"، فإننا نحمل هذه العبارة على محمل الجد كونها "**تعبر عن صميم عقل السلفية الجهادية وفلسفتها العقدية كمرجعية وحيدة ... ذلك أن التنظيم بنظر أتباعه عقيدة يدورون معها حيث تدور وليس بناء أيديولوجيا ولا أولوية ولا هدفا بحد ذاته ولا غاية مرجوة. فإذا ما قررت العقيدة، بنظر السلفية الجهادية، أن هذا خطأ أو صواب وذاك حلال أو حرام وهذا صديق وذاك عدو فلا مفر حينها من التسليم والدوران حيث تدور العقيدة وتقرر بعيدا عن أي تأثير تنظيمي أو تبعات سياسية**"[64].

فالمعنى إذن يؤكد على أن سر السلفية الجهادية يكمن بالذات في الشريعة بوصفها المصدر الوحيد في: **(1)** الحكم على النوازل أو **(2)** توجيه السلوك العام والخاص أو **(3)** بيان الاحتياجات والمتطلبات أو **(4)** رسم السياسات و **(5)** وضع الخطط، و ... الخ وبمعنى من المعاني فالشريعة ومصادرها معطوفا عليها التجارب الإسلامية، بعرف السلفية الجهادية، ليست علوما للتلقين ولا ميدانا للفقه ولا مجرد أحكام مصفوفة ولا هي تخصصات علمية، وليست الغاية منها التمتع والوجاهة والتفاخر ولا وسيلة لتحصيل الوظيفة والمال والجاه والرفعة. بل هي مرجعية حياة بديلا عن أية مصادر أو مرجعيات أخرى، وعليه فإن التحصن بالعلم الشرعي يغدو الشرط الأول والحاسم في العمل خاصة وأن "**المجاهد هو أكثر من يحتاج إلى العلم من غيره وهو يخوض غمار الجهادٍ الذي يستدعي منه أن يكون على بينة من هذا الأمر العظيم**"[65].

فالأمن[66] والسياسة الشرعية والخطط العسكرية وتحديد مراحل النكاية والتمكين والأولويات أو فقه الجهاد وأحكامه وفقه الواقع وفقه التحييد وفقه المرحلة وفقه التزكية وطرق قتال العدو والتنبؤ بسقوطه أو نجاحه وضبط مواضع الخلل والقوة والضعف واتخاذ المواقف كلها وغيرها من القضايا يجري الاستدلال عليها أو الاسترشاد بها من خلال الشريعة والسنة النبوية وسلوك الصحابة وفتاوى العلماء والفقهاء وقادة الجيوش الإسلامية والتراث الإسلامي الجهادي[67] قبل الاستعانة بأية مصادر أخرى. لذا فما من نازلة أو حدث أو سلوك إلا ويخضع للحكم الشرعي الذي له وحده الحق في إجازته أو رفضه، ولا عبرة لأية مبررات تاريخية ولا لأية قيم أو مجاملات أو اعتبارات للمصداقية وغيرها ممن تصنف تحت قافلة "**الهوى**"، فلو

---

[64] د. أكرم حجازي، "**الصين تحت مجهر السلفية الجهادية**"، مرجع سابق.

[65] أبو حارثة ... ، **المجاهدون في العراق والشرك المميت**، مصدر سابق.

[66] لعل أكثر ما يلفت الانتباه ذاك الجهد الجبار الذي تبذله جماعات أو أفراد في استخراج المادة الأمنية، مثلا، من مصادر التشريع والتراث والسنة النبوية ووقائع الغزوات والفتوحات وطرق تحرك بعض الصحابة واقتراحاتهم في كيفية اختراق صفوف العدو. والحديث في هذا السياق يجري عن موسوعات متخصصة وتجميع للخبرات بصورة غير مسبوقة مقارنة بالجماعات الإسلامية التقليدية والحركات الثورية العربية وغير العربية.

[67] الشيخ عطية الله في لقاء مركز اليقين وهو يتحدث عن أن: "**الحركة الجهادية تراكمت لديها خبرات وتجارب وصارت لها مكتبة عامرة بالفقه والحكمة**"، مصدر سابق.

سرقت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم لقطع محمدٌ يدها، ولو نكص بن لادن على عقبيه لنبذ غير مأسوف عليه[68].

قد يبدو هذا نوعا من الوصاية على الدين وكأن السلفية الجهادية باتت على حق وغيرها على باطل وهو ما ليس من الأطروحة السلفية بشيء، إذ أن الشريعة، بالنسبة إليها، فيها من السعة ما ليس في أية مرجعية أخرى، فهي الرصيد المعرفي الهائل الذي لا ينضب مع الزمان بخلاف أية مرجعيات أخرى لا تتعدى أعمارها، في أحسن الأحوال، بضعة عقود لا أكثر، وفيها من الأمن والأمان والسكينة ما لا يمكن للأيديولوجيا أن تحلم به، وفيها من القدوة ما لا ينفع الاقتداء بغيرها، وفيها من التوجيه والإرشاد ما لم يقع الاستفادة منه سابقا بسبب تغييبها عن الأمة وواقعها، وفيها من القوة ما تستكين معه نفسية المجاهد، وفيها من الصرامة ما يكفي ليدمغ الحق فيها كل باطل فيزهقه، من هنا تأتي الحاجة إلى تعلم العلم الشرعي للعمل به.

لذا فإن البيئة التربوية التي تنشأ فيها السلفية الجهادية هي على الأغلب بيئة المساجد وحلقات العلم والعلماء وبيئة الغرباء من كهوف وسراديب وصحاري وبيئة الثغور وساحات الجهاد وميادين القتال وليست بيئة سايكس – بيكو من القصور والفنادق والمؤتمرات والوزارات والسفارات والمكاتب المكيفة ووسائل الإعلام، ولا بيئة التنظيمات والأحزاب والأيديولوجيات ولا بيئة العلاقات الدولية والأمم المتحدة ومجلس الأمن والمجتمع الدولي، وشتان بين البيئتين.

كما أن للعلم الشرعي ميزة لا توفرها أية أيديولوجيا مهما بدت متماسكة، فالصحابة كان الواحد منهم يوصف وكأنه "**قرآن يمشي على الأرض**"، وهذا يؤشر على أن توجه السلفية نحو دراسة العلم الشرعي والنهل منه ما استطاعت إنما تحاول التشبه بالصحابة، وقد يبدو الأمر نكتة بالنسبة للخصوم خاصة وأن لديهم الكثير من الردود على مثل هذه "**الأحلام والغرور**"، لكن لو رفعنا من مستوى التحليل والتفسير أكثر قليلا سيتبين لنا أن السلفية باشتراطها العلم الشرعي إنما تجعل من عناصرها مشاريع قيادة من العيار الثقيل، وفي هذه النقطة وأمثالها فليتنافس المتنافسون. فمن يخوض الجهاد عليه أن يفهم إلى أين يقود الأمة ولأية أهداف، وعليه أن يعرف كيف يخاطبها، وبأية أدلة يواجهها، وعليه أن يتحمل كامل المسؤولية أمام الله والناس. أما التلاعب بمصير الأمة وزجها في أتون حروب طاحنة لا فائدة ترجى منها أو تسويات ظالمة وخائبة أو تحالفات مشبوهة فهي من تداعيات الجهل في الدين وغياب المرجعية، والصدع بما فيها من حقوق هي ملك للأمة وليست ملكا لعالم أو فقيه أو محدث أو حاكم أو سياسي أو أية شخصية كانت.

ومن الأهمية التنبيه إلى أن الأخذ بالعلم الشرعي لدى السلفية الجهادية يأتي على خلفية النقص الفادح في التكوين لدى الجهاديين من جهة ولترشيد فعاليات العمل الجهادي وبنائه من جهة أخرى على أسس شرعية واضحة. ففي مؤلفه الضخم يورد أبو مصعب السوري الكثير من الإشكالات التي عانى منها قادة الجهاد أمثال عبد الله عزام والظواهري وبن لادن وغيرهم من معتقدات جلبها معهم من التحق بصفوف المجاهدين خاصة من طلبة العلم الشرعي، ويعتقد صاحب "**دعوة المقاومة**" أن

---

[68] في الحقيقة فإن أكثر ما يتميز به أنصار السلفية الجهادية في المنتديات تمسكهم في العلم الشرعي حين يضطرون للرد على الخصوم من التيارات الأخرى، فأيا كانت الحادثة سياسية أو عسكرية أو أمنية أو اقتصادية أو حتى نصح وإرشاد فإن أية محاججة سيكون مصيرها الفشل إن لم تستند في أدلتها وبراهينها إلى ميزان الشرع، وحتى في الخلافات العاصفة بين السلفية الجهادية وأقرانها من الجماعات الأخرى والتي وصلت في بعض الأحايين إلى صدامات مسلحة ظلت الخطابات تحتج بالموقف الشرعي أكثر من احتجاجها بأية مواقف سياسية أو ظروف أو مصالح.

تصرفاتهم ألحقت ضررا بالغا في تقدم مسيرة الجهاد وعـالميته ونفَّـرت الكـثير منـه وتسببت بنزاعات قوية بين المجاهدين كونهـا انتشـرت علـى مسـاحات واسـعة مـن ساحات الجهاد. على أن هذا لا يعني إيصاد الأبواب أمام مـن يلتحـق بالمجاهـدين إن لم يكن متحصنا بالعلم الشرعي ولكنه فـي المقابـل، وبعـد التجـارب المريـرة، بـات ملزما بتلقيه.

أما على مستوى القيادات فما من سبيل للوصول إلى دفة القيـادة فـي مراتبهـا الوسطى والعليا خاصة إلا بشروط حاسمة فيما يتعلق بالعلم الشرعي، ولقد لاحظنا في بيانات الرثاء وأشرطة الفيديو التي خصصت لأبي مصعب الزرقاوي حرصها على التذكير بأنه كان طالب علم مجتهد علاوة على كونه القائـد العـام، وكـأن تعييـن أبـي مصعب أو قبول بيعته كان استثناء فرضته قدراته الميدانيـة وبلاؤه فـي المعـارك وإلا ما استطاع قيادة الجماعة فـي العـراق.[العبـارة ليسـت جيـدة، لأنـه قبـل كـل هـذه الميزات الميدانية والبلاء في المعارك، هنـاك ميـزة الـدين والصـلاح والثقـة الكاملـة فيه...!!] كما أنه ما مـن سـبيل لإعلان الجهـاد فـي سـاحة مـا دون أن تكـون النـواة الأولى على درايـة بـالعلم الشـرعي وإلا فلا داعـي لإعلانـه، هـذا مـا حصـل بالنسـبة لمجموعة تركستان الشرقية الـتي كـان يقودهـا حسـن معصـوم قبـل سـقوطه فـي معركة مـع القـوات الباكسـتانية فـي وزيرسـتان سـنة 2003. إذ يـذكر أبـو مصـعب السوري أن حسن معصوم كان يخطط للعودة إلى تركستان والشروع بتعليـم العلـم الشرعي لنحو مائتي مجاهد قبل أن يعلن الجهاد على القوات الصينية التي تحتل البلاد[69].

بطبيعة الحـال فالاسـتنتاج الحاسـم يكمـن فـي كـون قـادة الجماعـات المسـلحة للسلفية الجهادية لا يمكن إلا أن يكونوا على قدر كبير من العلم الشرعي، وبما أنهـم خارج سايكس – بيكو فمـن البـديهي ألا يكونـوا قـادة أحـزاب أو تنظيمـات بقـدر مـا سيكونوا مجاهدين علماء، على أن هذا لا يعني أنهم من الراسخين في العلم، لكنهـم ليسوا على جهل، وليس من الحكمة الاستهانة بقدراتهم العلميـة وإلا لمـا اسـتطاعوا أن يرفعوا راية ويعلنوا جهادا ويخوضوه ضد أعتى القوى العالمية ويدعون الأمة له لو لم يكن لديهم قدر كبير من العلوم الشـرعية، هـذا فضـلا عـن أن للسـلفية الجهاديـة علماءها العاملين في شتى أنحاء العالم.

إذن القيادة ليست مرتبة تنظيمية ولا سياسية ولا أخلاقية، وليست وليدة المصالح والأهواء ولا هي بالوراثـة ولا التزكيـات بـل هـي الضـرورة الأولـى مـن ضـرورات أي مشروع جهادي خاصة وأن ساحات الجهـاد تفتقـد للعلمـاء المتخصصيـن المتفرّغيـن إلى حد كبير مما يجعل من العلم الشرعي الشرط الذي يحظى بالأولوية القصوى.

II. التمرس في ساحة الجهاد

لم تكن هجمات 11 سبتمبر 2001 على أبراج التجارة الأمريكية لتحقـق هـدفا جوهريا وحاسما أفضل مما حققته في الصميم وهو تقديم قيادة للأمـة[70] بمواصـفات غير مسبوقة خاصة وأن الضربات نجحت في توجيه ما يسميه الشيخ أسامة بن لادن ضربة "**حطمت هبل العصر**"[71] بالإضافة إلى أهداف أخرى. فسلطان الأمة الــذي اغتصبته سايكس – بيكو في غفلة من الأمة وضيعته يسـتوجب وجـود قيـادة موثوقـة ومؤتمنة مهمتها استعادته حتى لو كلفها ذلك مهاجمة "**أصنام العصر**"، وحتى تظهر هذه القيادة وتحظى بقبول في الساحات الإسلامية كان عليها أن تفكر بهـدف يلفـت انتباه الأمة والعالم أجمع بأن الإسلام قادم وأن المسلمين عازمون على الاستمساك

---

[69] أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية... ، ص 827.

[70] فؤاد حسين، الزرقاوي: الجيل الثالث للقاعدة،

[71] أسامة بن لادن، **شريط العلم للعمل.** مصدر سابق.

بـ"**العروة الوثقى**" وأن على "**الغرب الصليبي الصهيوني الكافر**" أن يفهم أن المعركة فتحت ومن أوسع الأبواب.

هكذا قدمت القاعدة نفسها قائدة لحركة الجهاد العالمي الذي يؤمن بأن المقاتل [الكافر] العالمي الذي يصول ويجول في أنحاء العالم غازيا معتديا لا بد له أن يواجه بمقاتل إسلامي عالمي وبذات المواصفات وفي عقر داره[72]. فالقتال بحسب شروط الخصم لم يعد متاحا ولا بد من نقل المعركة من الأطراف إلى المركز[73] لتصير المعادلة مخطوطة بحسب القسم الشهير للشيخ بن لادن أو د. الظواهري[74]. إذن أي نوع من القيادة نحن بصدد البحث عن مواصفاته؟ وما الذي تريده قيادة السلفية الجهادية المقاتلة بعد أن استتب لها الأمر؟

لعل أبا بكر ناجي هو من أكثر وأدق من أصل لمضمون القيادة وشروط تحققها في صفوف السلفية الجهادية خاصة في الفصل الثاني من مؤلفه العزيز على قلوب المجاهدين مثلما هو عزيز على قلوب وكالات الأمن الأمريكية التي قامت بترجمته وشرحه وتوزيعه على نطاق واسع لما اعتبرته أخطر المؤلفات. ففي الغرب يهتمون بالإدارة وليس بالقيادة المباشرة، وللإنصاف فإن كتابات الشيخ أبي بكر ناجي أثارت انتباه كل من قرأها، أما أفكاره عن مسألة القيادة وهو يعالجها من خلال ربطها بالإدارة ربطا مباشرا فهي أطرف ما قدمه مفكر إسلامي وجهادي في تاريخ الحركات الإسلامية وحتى الجماعات السياسية العلمانية، بل أن ميزة مؤلفه "**إدارة التوحش**" أنه المشروع الأول الذي تقدمه حركة جهادية للتنفيذ على الأرض.

بالتأكيد يفرق "**ناجي**" بين القيادة (العسكريين) والإدارة (السياسيين) ويعتبر الأولى للثقاة فقط ولكنه لا يمانع في أن يكون كل قائد مديراً. لذا نراه ينطلق في بداية الفصل من قاعدة تقول: "**[ليس كل قائد مدير وليس كل مدير قائد]**، ولكنه يسعى إلى تحويلها لتصير **[كل قائد مدير وليس كل مدير قائد]**".

[في رأيي أن كلام أبي بكر ناجي عليه بعض الملاحظة، وعلى كل حال، هي بالأساس مشكلة المصطلحات وعدم دقتها وقلة وفائها أحيانا بالمراد !! لكن الملاحظة هي : أن ظاهر كلامه جعل العسكريين هم القيادة ، وجعل السياسيين هم الإداريين وهم تحت تلك القيادة العسكرية، وهذا غير دقيق، ولا يعبّر عن فكر الإخوة بالضرورة.!! والصحيح أن القيادة هي سياسية عسكرية تجمع بين الاثنين، وتكون خاضت تجربة ونجحت وثبتت وهذا يتطلب زمناً ، ومعنى النجاح عندما نقول نجحت ليس كما يفهمه اللادينيّون و"أهل الدنيا"، بل معناه : نجحت في ميدان العمل الصالح الذي من ضمنه : ظهورُ الصلاح والتقوى وحسن السيرة والجهاد والصبر والثبات وكثرة التوفيق في الاختيارات والمواقف، بالإضافة إلى حسن التدبير

---

[72] د. أكرم حجازي، رحلة في صميم عقل السلفية الجهادية، مرجع سابق.

[73] عبدالله النفيسي، **أحداث سبتمبر والهزة التاريخية في الفكر الأوروبي والأمريكي**، مجلة العصر الإلكترونية، 10/9/2006. على الشبكة: http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentID=8200 =

[74] = **قَسَم الشيخ بن لادن** ورد في شريط مرئي (7/10/2001) إثر هجمات سبتمبر، مصدر سابق، وهذا نصه: " **أقسم بالله العظيم الذي رفع السماء بلا عمد لن تحلم أمريكا ولا من يعيش في أمريكا بالأمن قبل أن نعيشه واقعا في فلسطين وقبل أن تخرج جميع الجيوش الكافرة من أرض محمد صلى الله عليه وسلم**"، وهو ما عبر عنه الظواهري في شريطه المرئي "**المعادلة الصحيحة**" وهو يخاطب الأمريكيين: "**الأمن قسمة مشتركة ... إذا أمنا فقد تأمنون وإذا سلمنا فقد تسلمون وإذا ضُربنا وقتلنا فحتما بإذن الله ستُضرَبون وتُقتَلون. هذه هي المعادلة الصحيحة فحاولوا أن تفهموها إن كنم تفهمون**"، مصدر سابق.

والموهبة القيادية عسكرية أو تخطيطية أو إدارية... هذه هي القيادة، فهي سياسية عسكرية لابد، ففصل الشيخ أبي بكر ناجي بين العسكرية والسياسية وجعله السياسية تحت العسكرية غير دقيق، بل مناقض لما عليه الإخوة، ومناقض لما ينبغي : فإن الناس كلهم متفقون مسلمهم وكافرهم أن "السياسة مهيمنة على العسكرية" ، هذه قاعدة صحيحة، لكن يبقى ماهي السياسة؟ السياسة هي عندنا بمفهومنا نحن، ولا أحتاج إلى التطويل بشرحها.

أما المدراء فهم الإداريون الذين يديرون الأعمال تحت القيادة، فقد يكونون جُدداً أحيانا، وقد يكونون غير موثوقين مائة بالمائة، وقد تكون إدارة عسكرية أو مدنية وخدمية واتصالات وغيرها، وهكذا، لكن القيادة تكون منتبهة لهم وعارفة بدرجاتهم، وتطوّرُ منهم من يحتاج إلى التطوير وتختبر منهم من يحتاج إلى اختبار........ والله أعلم]

وبطبيعة الحال هو يجتهد في ذلك بناء على تجارب الجماعات السابقة التي فشلت بفعل الاختراقات الأمنية أو السياسية وأحبط عملها وهو ما لا يريد للسلفية الجهادية أن تقع فيه[75].

من المألوف أن التيار السلفي بعرف السياسات الحكومية والأمن الدولي منبوذ، وقادته وعناصره مطلوبون لكافة القوى الدولية والمحلية، كما أنه مهيب الجانب من شتى الجماعات الإسلامية والعلمانية ومحارَب من طرف الكثير منها، وعليه فإن التفريط في المسائل الأمنية أو الإدارية أو العسكرية من شأنها أن تلحق أضرارا بالغة بالتيار وتوجهاته ورايته، وتبعا لذلك فهو تيار عامل تحت الأرض لا فوقها، وتيار خفي لكنه نشيط حتى في الجبهات المفتوحة، ولما تكون أهدافه تبلغ مصالح الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها وزيادة عليها "**المستضعفين في الأرض**"[76] وأعداؤه من نوع "**هبل**" و "**اللات**" و "**العزى**"، فمن المفترض أن نتوقع قيادات من نوع مختلف مقارنة بما سبق من نماذج عديدة سقط بعضها وتراجع آخر ودافع ثالث عن ثقافة التغير السلمي ورابع أبدى استعداده للتفاوض حول ما يفترض أنها ثوابت بينما لا نجد مثل هذه التحولات لدى السلفية الجهادية منذ نشأتها قبل نحو عشرين عاما.

باختصار، هل أن [تحذف] خصائص وأنماط القيادة التي تفرزها ثقافة التوحيد هي نفسها الخصائص والأنماط الكائنة في ثقافة سايكس – بيكو؟

في تحليله لمفهوم الدولة يقدم أبو بكر ناجي فكرة طريفة يرى فيها أن الدولة في العصر الحديث هي الدولة أينما تكون، لكن الفرق يكمن فيما تكتسبه الدولة من محتوى أيديولوجي، فإذا ما اكتسبت الدولة العربية أو الإسلامية ثقافة التوحيد وأنزلت الحاكمية منزلتها فلا غبار عليها، لذا فهو يعتقد أن الأحزاب العلمانية نجحت في السيطرة على الدولة فيما كان الإسلاميون يتناظرون في بنائها على الطريقة النبوية! أما السلفية الجهادية فهي مدعوة لتطبيقه على القيادة عبر فهم الفروق، ولأنها مسألة يصعب التثبت منها إلا من أصحاب الشأن فإن صراحة الشيخ عطية الله الليبي من جهة وصرامة أبو بكر ناجي تبقى هي المداخل الأكثر أهمية للفهم،

---

[75] بالإضافة للمصدر إياه "**إدارة التوحش**" يفضل الاطلاع على مقالته المعنونة بـ: "**الخيانة أخس صفقة في التاريخ**". وفي الحقيقة فإن كتابات أبو بكر ناجي لا يمكن أخذها مستقلة عن بعضها، فهي تشكل كتلة واحدة متراصة حتى ولو ظهرت في سلسلة من المقالات.

[76] هذا التعبير أدخله الظواهري إلى الخطاب السلفي ليغدو من مشمولات الجهاد العالمي، في الشريط المرئي الذي أصدرته مؤسسة السحاب تعقيبا من الظواهري على الحرب الإسرائيلية على لبنان، مؤسسة السحاب، 26/8/2006.

ففي ضوء السؤال إياه، يقدم الشيخ عطية الله توصيفا للسلفية الجهادية، بوصفها اليد الأمينة على الراية، على النحو التالي:

"عندما أقول "الحركة الجهادية" فإنني أعني بها:

- **الحركة الجهادية العالمية التي هي مشروع أمة الإسلام الكامل ... التي لا ترضى بأنصاف الحلول والتسويات، ولا تلتقي مع عدوّها الكافر في منتصف الطريق، ولا ترضى بالفتات!!؛**
- **حركة أخذت على عاتقها الإحاطة بهذا الدين من كل جوانبه بحسب الوسع والطاقة ... من مبادئها: ليس عندنا ما نخسره: نحن بين إحدى الحسنيين: نصرٍ أو شهادة؛**
- **حركة غاية الجهاد عندها ودافعه هي: أن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدينُ كله لله، هذا هو المبدأ الأساسي والأكبر والمقصد الأعظم؛**
- **حركة لا تعترف إلا بشرعية ديننا وشريعتنا المطهرة ... كمرجعية مطلقة، لا بما يُسمّى اليوم بـ"الشرعية الدولية" وغيرها... ؛**
- **لا تعترف بسايكس بيكو والحدود التي صنعها ووضعها أعداء الأمة ومزقوها بها، ...**
- **حركة عرفت عدوّها جيدا وعرفت أعداء الأمة ولم تعد منخدعة فيهم أو مغترّة بنفاقهم وألاعيبهم.. لا تسلم قيادتها إلا للأمناء على الدين فعلا ... إن راية الجهاد لابد أن تكون في أيد أمينة، يمكن ائتمانها على الجهاد ".**

إذن هذه القيادات لا يمكن أن تُصنع على عجل ولا أن تدفعها الظروف أو المصالح للظهور ولا هي قيادات ولدت بالترقيات ولا بالأقدميات ولا بالمصاهرات ولا هي من ذوي القربى ولا من المرضي عنها وليس أعضاؤها من سادات القبائل والعائلات ولا من ذوي الحسب والنسب وحواشي السلطة، إنها قيادات مرّستها ميادين الحركة من تنقلات أمنية خطرة ومهمات معقدة ومطاردات وتَخَفِّي وقتال شرس وخطوب ومحن قاسية واقتحام لأهداف من المفترض أنها مستحيلة حتى بعرف الحرب الباردة وليس بعرف سايكس – بيكو فحسب. ولعله من الإنصاف عدم المقارنة بين قيادات السلفية والقيادات الأخرى باعتبار أن لكل بيئة منتجاتها وللظروف أحكامها، ومع ذلك فإنه "**حقٌ للجميع أن يجاهد ويساهم، لكن حق أيضا لأمثال هؤلاء أن يعرفوا قدر أنفسهم"[77].**

هنا بالضبط يتدخل أبو بكر ناجي ليكشف عن متلازمة العلم الشرعي، كي لا تنفلت الأمور من عقالها فيسقط القادة ويسقط معها المشروع الجهادي برمته، مؤكدا على:

- **"أن يكون أغلب قادة الحركة الإسلامية قادة عسكريين أو عندهم قدرة على القتال في الصف على الأقل ... ؛**
- **خطورة ترك القرار السياسي بأيدي من لا يخوض المعارك العسكرية تحت أي حجة.** (لذا يجب) **أن يكون القرار السياسي صادرا من القائد العسكري، بل الإدارة السياسية كلها أو أغلبها ينبغي أن تكون من المقاتلين من مساعدي القادة العسكريين وجنودهم ... فالمعركة معركتهم قبل أن تكون معركة غيرهم؛**

---

[77] الشيخ عطية الله، لقاء مركز اليقين، مصدر سابق.

- **أن يعمل هؤلاء القادة على إتقان علم السياسة كإتقان العلم العسكري سواء بسواء.**
- **القرارات الإدارية والسياسية العليا الخاصة باستهداف فئات والكف عن آخرين ... يجب أن تمر، وقبل أن تصدر، على الراسخين في العلم في حركة الجهاد الرئيسية، أو عالماً راسخاً في العلم مشهوداً له بذلك تبعاً لمعايير شرعية صحيحة إذا تعذر الرجوع إلى علماء حركة الجهاد الرئيسية"[78].**

غير أن هذه الضوابط لا تعني أن للقيادة سطوة على ما دونها، فهي وإن كانت أبوابها مفتوحة إذا ما تحققت شروطها إلا أن للقواعد، التي من اللازم تنميتها وتوعيتها حتى تصل إلى مرحلة متقدمة من النضج والوعي والعلم الشرعي، حق المراقبة على أداء القيادات السياسية اعتمادا على مبدأ الثقة الذي تكون عناصره الحيوية **"في عصرنا ... مبنية على معطيات ثابتة لقيادة تم اختبار صدقها عملياً وفي شتى الميادين"[79]**، فإذا ما ضعف هذا المبدأ، الذي تغذيه الأحكام الشرعية والثبات والصبر على البلاءات والمحن والإرادة والعزيمة وقبل كل شيء عقيدة الولاء والبراء، فمن شأن أي قرار سياسي كبير أن يحدث بلبلة وربما تفككا في الجماعة. وفي الحقيقة فإن الحديث عن الضعف صعب القبول بما أن المقصود هو اختبارات ثقة أو ما تسميه السلفية بـ "**تجاوز العتبة**"، فمن قطع مراحل الاختبارات سيكون من شبه المستحيل عليه النكوص بالنظر إلى أن خياراته في التراجع تكاد تبلغ من النسبة المئوية صفرا أو أقل.

لا شك أن اختبارات الثقة للقائد ليست من النوع التقليدي الذي يسود الجيوش وحركات التحرر، وكذا الأمر فيما يتعلق ببناء القيادات وصنعها، فهناك مثلا خصائص هامة جرى التعبير عنها في الكثير من المواضع منها تزكية بن لادن لبعض منفذي هجمات سبتمبر وهو يصفهم بالحياء وسمو الأخلاق والصبر والمواظبة على قيام الليل[80] وهي صفات ذكرت أخيرا بحق شهاب قدورة الملقب بـ "**أبو هريرة**" أحد قادة فتح الإسلام الذي سقط مؤخرا ورفضت قريته دفن جثمانه فيها. لكن ثمة خصيصة لا يمكن أن تفلت من ثقافة التوحيد وهي مسألة العزيمة والإرادة **{فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}** (آل عمران 159) **{طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ } محمد 21** ، وهنا يمكن أن يتساءل المراقب وهو بأقصى حالات الاندهاش: ما الذي يجعل رجلا مثل أبي مصعب الزرقاوي يقطع آلاف الأميال من هيرات بأفغانستان إلى العراق متجهما كل المخاطر سعيا لمقاتلة دولة تفر منها الدول وجبابرة العصر!؟ وما الذي يدفع التسعة عشر لفعل ما فعلوه لو لم يكونوا يتسمون فعلا بالعزم والتصميم؟ بل ما الذي يجعل بن لادن يترك الدنيا وراءه بملايينها وزخرفها مفضلا عليها البرد والقيظ وحياة الكهوف والمعاناة؟ وفي الواقع فإن هذا هو حال الملا محمد عمر وداد الله والظواهري وأبو مصعب السوري وأبو أنس الشامي وأبو حفص المصري وسيف العدل وسليمان أبو غيث وعبد الهادي العراقي ومصطفى أبو اليزيد وأبو يحيى الليبي وأبو الليث الليبي وعطية الله وحسن معصوم وجمعه باي وخالد الشيخ ومحمد عطا وعبد العزيز المقرن ويوسف العييري وأبو الوليد الغامدي

---

[78] أبو بكر ناجي، **إدارة التوحش**، مصدر سابق، ص 37.

[79] نفس المصدر، ص 40.

[80] في الحقيقة الأشرطة كثيرة التي تصدرها القاعدة عبر مؤسسة السحاب وتزكي فيها شهداءها نذكر منها شريط العلم للعمل وريح الجنة 1 وقوافل الشهداء وبدر الرياض وغيرها.

وحامد الجبوري وأبو حمزة المهاجر وأبو عمر البغدادي وشاكر العبسي وجمال أبو سمهدانة وغيرهم الكثير.

في ساحة العراق تواجه السلفية الجهادية جبهة من الأعداء يصعب تصورها، ومع ذلك يصول مقاتلوها ويجولون ويبذلون جهودا جبارة للإفلات من العملاء والأعداء من أجل أن ينجحوا بزراعة عبوة ناسفة[81]، ويضطرون إلى خوض المعارك وحدهم في الكثير من المناطق كما يحدث في ديالى، فأي عزيمة وإرادة يتحلى بها هؤلاء؟ ليقدروا على الجهاد ومواجهة شظف الحياة ومعاناتها وتربص الجيوش الغازية بهم ومطاردة الخونة والعملاء لهم؟ والطريف حقا لا يكمن في عزيمتهم بل في نفاذ صبر القادة العسكريين الأمريكيين مما يواجهونه من هؤلاء المقاتلين.

أيضا لوحظت الكثير من وسائل اختبارات الثقة منها عمليات ذبح للأسرى أو ممن أدينوا بالخيانة ومعاونة المحتل وأعوانه، ففي الأشرطة التي بثتها بعض الجماعات الإسلامية خاصة جماعة التوحيد والجهاد التي أسسها وقادها الزرقاوي كان اللافت للانتباه فيها وجود فريق كامل يحيط بالضحية أحدهما يلقي بيانا واثنين أو ثلاثة يقومون بالحراسة ومراقبة المشهد وآخر مهمته التصوير الفيديوي، ولو أن الغاية من بث الشرائط المروعة هو إرهاب الأعداء إلا أنها لا تخلو من كونها آليات اختبار للتمرس على الشدة والغلظة مما يبعث على الاعتقاد بأن الفريق قد يتغير بفريق آخر.

ومن الأساليب أيضا التدريب في ساحات القتال، فقد لوحظ على بعض عمليات القاعدة في الجزائر خاصة تلك التي استهدفت سبعة مراكز للشرطة في ولاية تيزي أوزو موقعة بعض الخسائر كما لو أنها أقرب إلى العمليات الاستطلاعية والتدريبية من كونها عمليات هجومية يقصد منها إيقاع الخسائر، أما في العراق فقد أعلن البغدادي أمير دولة العراق الإسلامية في خطاب صريح "**عن تخريج أكبر دفعة في تاريخ العراق لضباط الجهاد في سبيل الله وبدرجة العالمية العليا**"[82] مبينا أن "**الدراسة متواصلة بلا انقطاع صيفا وشتاء، ليلا ونهارا**"، ولسنا ندري ولا نجد تفسيرا كيف يكون في العراق دراسة وتدريب على هذا النحو الرفيع فيما البلاد تشهد حربا طاحنة منذ خمس سنوات لا مثيل لها في أي بلد آخر. ولعل الأقرب إلى المنطق أن يكون هؤلاء قد تمرسوا في الميدان على مختلف الأسلحة والوسائل القتالية وفي مختلف الظروف الجوية[83]. [مع اتباع أساليب الدورات التعليمية والتدريبية المكثفة المتتالية والمعتمدة على التطبيق المباشر... وغيرها من أساليب تتكيف مع الواقع]

إلى هنا يمكن أن نختم هذا المحور بالسؤال التالي: **إذا كان القادة السياسيون ملزمين "لتجاوز العتبة" بأن يكونوا على علم شرعي ومن المتمرسين في ميادين القتال ومن أصحاب العزيمة، فهل من شروط لتجاوز العتبة، غير الصدع بالحق، لدى مشايخ وعلماء السلفية الجهادية ممن يعيشون حياتهم المدنية؟** سؤال للبحث.

---

[81] أبو حسين المهاجر، **الانتصار لأهل التوحيد**، 27 ذي القعدة سنة 1427هـ. وتجدر الإشارة أن البحث يتضمن تحليلا عميقا لأحوال المجاهدين والصعوبات التي تعترضهم في عملياتهم القتالية خاصة ما يتعلق بدور بعض الأحياء والعشائر وحتى بعض القوى السنية الإسلامية التي تنشط ضد المقاتلين بالتعاون مع القوات الأمريكية والحكومية.

[82] أبو عمر البغدادي، خطاب صوتي بعنوان: "**حصاد السنين بدولة الموحدين**"، 17 / 4 / 2007.

[83] لمزيد من الاطلاع يمكن العودة إلى: د. أكرم حجازي، "**هل يطفئ خطاب البغدادي نار الفتنة؟ المجتمع والعالمية والدولة (1)**"، 18 / 4 / 2007.

خلاصة القول

هذه بعض أهم ملامح أطروحات السلفية الجهادية، **كما بدت للباحث** ، وبالتأكيد هناك الكثير من الأطروحات التي ينبغي التوقف عندها وبيان مضامينها كمسائل التكفير والفتنة والجهاد ومراحل النكاية والتمكين وغيرها ممن لم يتم بحثها حتى الآن من قبل الأكاديميين، والإشكال واقع حكما في التوصيفات قبل التعرض لها بالدرس والتحليل والنقد الذي لو اضطلع به باحثون غير شرعيين لكانت النتائج أفضل والصورة أكثر وضوحا خاصة وأن المسائل الشرعية قلّ من يفهمها من العامة وحتى من الباحثين. وقبل أن نختم يستحسن تثبيت بعض الإشكالات التي تواجه الخصوم وتنفع في البحث عن أجوبة لها:

1) لا شك أن المتابع للشأن السلفي سيلاحظ أن الإشكال الذي بات يواجه الخصوم لم يعد ينحصر في دخول السلفية فيما تسميه مراحل النكاية في بعض الجبهات المفتوحة كالعراق وأفغانستان والشيشان والصومال ... إنما حقا في تضخم تيار الجهاد العالمي الذي بلغت امتداداته شتى أصقاع الأرض حتى ولجت في رحم الحياة الاجتماعية وبات يتربص بالفرد والجماعة على السواء. ولعل هذا الأمر هو ما يخيف الخصوم ليس فقط خارجيا بل محليا.

2) أما الإشكال الثاني فواقع في تصريحات الشيخ عطية الله، فقد لا يهتم لها البعض من الجماعات

الإسلامية ومن يستحسنون المد في اللحايا ويشرِّعون الجَزْر في العقيدة والتوحيد، ولكنها بالتأكيد ستلقي بظلالها على جماعة الإخوان المسلمين التي حددها بالاسم كجماعة غير مؤتمنة على قضايا الأمة والحركة الجهادية العالمية، وهو تصريح غير مسبوق بهذه الصراحة والوضوح، والأكيد أن الجماعة تشعر بأن السلفية الجهادية إن لم تكن قد سحبت البساط من تحت أقدامها فهي على الأقل تزاحمها وتخوض معها صراعا أيديولوجيا وسياسيا مكشوفا جرى التعبير عنه بوضوح وعديد المرات من قبل د. أيمن الظواهري وأبي يحيى الليبي وقادة دولة العراق الإسلامية وغيرهم من رموز السلفية على خلفية اتهام الجماعة بالنكوص عن مبادئها وأهدافها[84] لاسيما وأنها متهمة "**بالعمل على تعميم الإرجاء على أوسع نطاق**"[85]. وإذا كانت السلفية تقرر أنها لا يمكن لها أن تسلم القيادة والراية للإخوان المسلمين فهذا يعني أضعف الإيمان، ولكن في معنى آخر قد يشي القرار بأنها لن تغفر للجماعة ما فعلته وتفعله بها في أفغانستان والعراق والجزائر أيا كانت المبررات.

3) والإشكال <u>الرابع</u> [لعله الثالث]، من المهم جدا ملاحظة أن القاعدة جماعة تحمل راية وليست راية، وهذا هو جوهر المشكلة مع كافة القوى والخصوم، لذا نؤكد ثانية على أن المشكلة ليست في احتكار القاعدة للجهاد ولا في احتكارها للراية، بدليل أن البداية كانت مع الجهاد الأفغاني ثم تطورت نحو الأفغان العرب ثم القاعدة ثم التيار السلفي، وها نحن نشهد دولة العراق الإسلامية وما بات يتجه نحو حركة الجهاد العالمي في مناطق كثيرة من العالم الإسلامي، لذا فالتفكير في القاعدة وكأنها الوصية على الراية أو الجهاد العالمي هو تفكير عبثي، فإذا ما اختفت القاعدة أو اضمحل نشاطها وذكرها فلأن الأمر لم يعد يعني الشيء الكثير، وحتى

---

[84] راجع كنموذج مقالة د. عصام العريان حول مراجعات الإخوان: "**عشر سنوات على مبادرة وقف العنف: العودة إلى منهج الإخوان**"، **مجلة المجتمع الكويتية، العدد** 1760، 14/7/2007.

http://www.almujtamaa-mag.com/Detail.asp?InNewsItemID=231407

[85] أبو حمزة المهاجر، خطاب صوتي بعنوان: "**قل موتوا بغيظكم**"، مصدر سابق.

اختفاء رموزها وقادتها لن يغير في الأمر **شيئاً**[86] بما أن الحديث الآن عن الراية تجاوز مرحلة التنظيم بالكامل ليغدو حديثا وفعلا عن راية أمة قد يكون للقاعدة السبق في رفعها والتعبير عنها ولكنها بالتأكيد ليست ملكها ولا هي سعت لاحتكارها، وليس أدل على ذلك من ظهور جماعات ضاربة ذات طابع سلفي جهادي ولكنها ليست فرعا من القاعدة ولا من غيرها.

4) ويبقى الإشكال الخامس [لعله الرابع!] فيما تكشفه التصريحات الأمريكية للقادة العسكريين، فهؤلاء، سواء صدقوا أو راوغوا، إلا أنهم يقرون ميدانيا أنهم يواجهون خصما عنيدا بلا رحمة ولا يمنحهم أية فرصة للقتال على طريقتهم ووفقا لما تعلموه في كلياتهم الحربية، فهم مصممون على المواجهة والصمود والتحدي مثلما هم مصممون على القتال حتى الموت، وهي حالة فريدة لم يسبق للأمريكيين وغيرهم أن خبروها في أي مكان آخر لا في فيتنام ولا في كوريا ولا في أوروبا. ربما في هذه صدقوا ولكنهم في مسألة الانسحاب مراوغون بلا شك حتى وإن كان القرار السياسي متعلقا بتوصياتهم.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر الشرعية

- **القرآن الكريم**

1) (الأنفال: 24، 67، 10)
2) (العنكبوت: **69**،6)
3) (الكهف: 29)
4) (الفتح: 29).
5) (التوبة: 73، 105).
6) **(**الإسراء: 5)
7) (آل عمران: 126،159).
8) (البقرة: 194، 256)
9) (النساء: 76)

- **الحديث الشريف**

10) **"إذا تبايعتم بالعينة، وتبعتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذُلاًّ لا يرفعه عنكم حتى تعودوا إلى دينكم"**؟
11) [**لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ**]، **حديث نبوي متعدد الروايات.** [انظر الأصل]

[86] كان لافتا للانتباه رد الشيخ بن لادن في خطاب الرثاء على تصريحات وتحليلات تنبأت بأفول عهد القاعدة في العراق إثر اغتيال أبو مصعب الزرقاوي، ففي شريط الرثاء الصوتي نصح بن لادن الرئيس الأميركي جورج بوش بعدم "**الإكثار من الفرح**" مشيرا أن "**الراية لم تسقط وإنما انتقلت من أسد إلى أسد من أسود الإسلام**"، وردت في تسجيل صوتي لبن لادن في 30/6/2006.

ثانيا: الشرائط المرئية والصوتية

12) الشيخ أبو حمـزة المهـاجر، "**قل موتوا بغيظكـم**"، تسـجيل صـوتي، مؤسسـة الفرقان، 5/5/2007.

13) الشيخ أبو حمزة المهاجر، "**نداء إلى علماء الأمة**"، شريط مرئي.

14) الشيخ أبو سليمان العتيـبي القاضـي الشـرعي لدولـة العـراق الإسـلامية، "**لماذا نجاهد؟**"، شريط مرئي، مؤسسة الفرقان، 12/4/2007.

15) الشيخ أبو عمر البغدادي (أمير دولة العراق الإسلامية)، "**حصاد السـنين بدولـة الموحدين"،** شريط صوتي، مؤسسة الفرقان، 17/4/2007.

16) الشيخ أبو عمر البغدادي (أمير دولة العراق الإسلامية)، "**وقل جاء الحق وزهق الباطل**"، مؤسسة الفرقان، تسجيل صوتي 22 / 12 / 2006.

17) الشيخ أبو الليث الليبي، مقابلة مرئية، مؤسسة السـحاب، 27/4/2007 الموافـق ربيع الآخر 1428هـ.

18) الشيخ أبو يحيـى الليـبي، "**توحيد آل سعود وتوحيـد الحـق**"، شـريط مرئـي، مؤسسة السحاب، جمادى الأولى 1428 - أيار /مايو 2007.

19) الشيخ أسامة بن لادن، (**تعيين الزرقـاوي أميـرا لقاعـدة الجهـاد فـي بلاد الرافدين**)، شريط مرئي، مؤسسة السحاب، تشرين أول/أكتوبر 2004.

20) الشيخ أسامة بن لادن، **شرح حديث كعب بن مالـك**، شـريط مرئـي، مؤسسـة السحاب.

21) الشيخ أسامة بن لادن، **عرض الهدنة**، شريط مرئي، مؤسسة السـحاب، بتاريـخ 17 أو 18 /2/2006.

22) الشيخ أسامة بن لادن، "**العلم للعمل**"، شريط مرئي، وهـو الشـريط الـذي بثتـه القاعدة بمناسبة الذكرى الخامسة لهجمات الحادي عشر من سبتمبر عبر مؤسسـة السحاب، 7/9/2006. واشتهر بـ "شريط التوثيق لأحداث سبتمبر".

23) الشيخ أسامة بن لادن "**رثاء أبو مصعب الزرقاوي**"، تسجيل صوتي، مؤسسـة السحاب، 30/6/2006.

24) الشـيخ أسـامة بـن لادن، شـريط (القسـم) مرئـي، مؤسسـة السـحاب، (7/10/2001.

25) الشيخ أسامة بن لادن، **مقابلة مع الصحفي تيسير علوني** فـي أفغانسـتان (أكتوبر عام 2001) والتي لم تنشرها قناة الجزيرة.

26) الشـيخ د. أيمـن الظـواهري، "**الحرب علـى لبنـان**" شـريط مرئـي ، مؤسسـة السحاب، 26/8/2006.

27) الشيخ د. أيمن الظواهري "**حقائق الصراع بين الكفـر والإيمـان**"، مؤسسـة السحاب، شريط مرئي، **23/12/2006.**

28) الشـيخ د. أيمـن الظـواهري، "**دروس وعـبر وأحـداث عظـام فـي سـنة 1427هـ**"، شريط مرئي، مؤسسة السحاب، 1428هـ.

29) الشـيخ د. أيمـن الظـواهري، **المعادلـة الصـحيحة**، شـريط مرئـي، مؤسسـة السحاب، 23 / 1 / 2007.

30) الشيخ د. أيمن الظواهري، **نصيحة مشفق**، مقابلـة مرئيـة، مؤسسـة السـحاب، 5/7/2007.

31) الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتي السعودية، تسجيل صوتي لخطبة جمعة، **جامع الأميـر تركـي بـن عبـدالله**، 12/6/1428 هــ، علـى موقـع البـث الإسـلامي: http://www.liveislam.net/browsearchive.php?sid=&id=38624.

31) تقرير عن الحركة الإسلامية في جنوب الفلبين مقابلات مع أبي سياف: "**أسود الفلبين: إنهم قادمون**"، مركز مورو الإعلامي، 15/8/2007.

32) د. عبدالله فهد النفيسي، ندوة بعنوان: "**أثر التحولات العالمية والإقليمية على مواقف التيارات الإسلامية في منطقة الخليج**"، قناة الجزيرة ، 25/6/2006.

ثالثا: البيانات

33) بيان الجماعة الإسلامية في مصر، **"فتح الإسلام..أم تدمير الأوطان"،** (24/ 5/ 2007)، على موقع الجماعة: http://www.egyig.com/Public/articles/announce/6/80033469.shtml.

34) بيان انضمام الجماعة السلفية في الجزائر إلى تنظيم القاعدة، **"بيان وبشرى بانضمام ومبايعة الجماعة السلفية للدعوة والقتال"**بتاريخ 13 /9 / 2006.

35) بيان الجماعة السّلفيّة للدّعوة و القتال بعنوان: " **إشعار بتغيير التَسْمِيَة**" بتاريخ 24 /1 / 2007.

36) بيان النصرة لأهل السنة في العراق الصادر عن 26 عالما سعوديا، 26/11/2004. على موقع: http://www.islamonline.net/arabic/news/2004-11/26/article06.shtml .

37) بيان النصرة لأهل السنة في العراق الصادر عن 26 عالما يمنيا، 26/11/2004.

38) بيان العلماء الـ 13 **"نداء للمجاهدين في العراق"، 18 نيسان / أفريل 2007** الصادر في أعقاب تفجر الخلاف بين دولة العراق الإسلامية والجيش الإسلامي.

رابعا: المصادر المكتوبة للسلفية الجهادية

39) الشيخ أبو بكر ناجي، **إدارة التوحش**.

40) الشيخ أبو بكر ناجي: **"الخيانة أخس صفقة في التاريخ"**.

41) الشيخ أبو بكر ناجي، **"السنن الكونية بين الأخيار والأغيار"**، إدارة التوحش.

42) الشيخ أبو بكر ناجي، **فتنة المصطلحات.. المصلحة والمفسدة نموذجاً**، إدارة التوحش.

43) الشيخ أبو حسين المهاجر، **الانتصار لأهل التوحيد**، 27 ذي القعدة سنة 1427هـ.

44) الشيخ أبو محمد المقدسي، **إعداد القادة الفوارس بهجر فساد المدارس**، موقع منبر التوحيد والجهاد: http://www.tawhed.ws.

45) الشيخ حامد العلي، **"أشباح الانترنت"**، قصيدة على موقعه: . http://www.h-alali.info/q_open.php?id=6dc55ba4-543f-102a-b164-0010dc91cf69

46) الشيخ أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم)، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

47) الشيخ أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم): **"قراءة وتعليق على رسائل وبيانات الشيخ أسامة بن لادن و الدكتور سعد الفقيه إلى الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين وعلماء بلاد الحرمين"**، سلسلة قضايا الظاهرين على الحق (5)، مركز الغرباء للدراسات الإسلامية والإعلام، بدون تاريخ.

48) الشيخ عابد بن عبدالله البغدادي (أبو حارثة)، **المجاهدون في العراق والشرك المميت**، الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية، الإصدار الأول: سلسلة ......نصيحة الجهاد إلى من نحسبهم خير العباد – صفر 1428.

49) الشيخ عطية الله، **لقاء خاص مع مركز اليقين**، وبحسب المركز فقد [أنجز اللقاء عبر المراسلة في العشر الأواخر من جمادى الأولى 1428هـ/يونيو 2007م].

خامسا: المراجع

50) أسامة البغدادي، **"حرب القاعدة على الإخوان ..العراق أنموذجا"**، على موقع الرواق: http://www.alrewak.net/sub.asp?page1=v_tajarob&id=65.

51) د. أكرم حجازي، **تاريخية البرجوازية العربية – مجرد بروليتاريا**. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات (محكمة) / رام الله– فلسطين / العدد الثامن، تشرين أول - أكتوبر 2006م، ص 297 - 303.

52) **د. أكرم حجازي، رحلة في صميم عقل السلفية الجهادية** – صحيفة القدس العربي، أربع حلقات ابتداء من 28 – 31 /9/2006.

53) د. أكرم حجازي، **الصين تحت مجهر السلفية الجهادية** – صحيفة الوقت البحرينية، العدد 322 - 326، خمس حلقات ابتداء من 7/1/2007.
54) د. أكرم حجازي، "**هل يطفئ خطاب البغدادي نار الفتنة؟ المجتمع والعالمية والدولة (1)"،** 18 / 4 / 2007.
55) الشيخ بكر عبد الله أبو زيد، **حلية طالب العلم**، دراسة من 48 صفحة، ص 42، http://saaid.net/Warathah/bkar/index.htm.
56) عبد الإله حيدر الشائع، "**دعوة للدكتور القرضاوي: أخرج من قصورك لمناقشة القاعدة في سراديبهم"، 2007//11، على موقع مدونة الكاتب:** http://abdulela.maktoobblog.com/?post=320475.
57) عبد الله العروي، **مفهوم الدولة**،
58) عبدالله فهد النفيسي، **أحداث سبتمبر والهزة التاريخية في الفكر الأوروبي والأمريكي**، مجلة العصر الإلكترونية، 10/9/2006. على الشبكة: http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentID=8200
59) د. عصام العريان حول مراجعات الإخوان: "**عشر سنوات على مبادرة وقف العنف: العودة إلى منهج الإخوان"، مجلة المجتمع الكويتية، العدد** 1760، 14/7/2007. http://www.almujtamaa-mag.com/Detail.asp?InNewsItemID=231407
60) علي عبدالله صالح، تصريحات سياسية، صحف ووكالات، 12/7/2007.
61) فؤاد حسين، الزرقاوي: الجيل الثالث للقاعدة،
62) محمد أسعد بيوض التميمي، **الوسطيون المحرفون لدين الله والحرب عى الإسلام؟؟ والوسطية في القرآن الكريم**، 14/6/2007. **موقع الكاتب:** http://www.grenc.com/a/mTamimi/show_Myarticle.cfm?id=7432.
63) محمد أسعد بيوض التميمي، "**في فقه المعركة: جهاد في سبيل الله وليس ونضال ومقاومة**"، http://islamouna.info/dnn/MemberDetails.aspx?Id=35.
64) مهدي عاكف، منتدى حوار موقع الـ BBC " **مرشد جماعة الإخوان المسلمين مهدي عاكف يرد على أسئلتكم "، شباط / فبراير 2007.** http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/talking_point/newsid_6370000/6370217.stm.
65) الأمير نايف بن عبد العزيز، **صحيفة الشرق الأوسط السعودية،** 21 / 9 / 2006، العدد 10159.